الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السياسية ولادارية

مستقبل الحركات التكفيرية وسبل مواجهتها

رسالة لنيل دبلوم دراسات عليا في العلاقات الدولية والدبلوماسية

إعداد: خليل محمد

لجنة المناقشة

الدكتور علي شكر	**الأستاذ المشرف**	**رئيساً**
الدكتور طوني عطاالله	**أستاذ**	**عضواً**
الدكتور كميل حبيب	**أستاذ**	**عضواً**

٢٠١٧

المخطط

الفصل الأول: الجذور الفكرية ومشاريع التكفير

المبحث الأول: جذور الفكر التكفيري وأسسه

الفقرة الأولى: أصل نشأة الفكر التكفيري وأبرز ناشروه

أولاً: سياق تطور الفكر التكفيري

ثانياً: ظروف تحول الفكر إلى التطبيق

الفقرة الثانية : انتشار الفكر التكفيري وتبعاته

المبحث الثاني: مشاريع الفكر التكفيري الدولة الإسلامية نموذجاً

الفقرة الأولى: ظروف قيام مشروع الدولة الاسلامية (دولة داعش)

أولاً: تجربة طالبان والقاعدة وأثرها في قيام الدولة

ثانياً: انتهاء تجربة طالبان/ القاعدة في السلطة

الفقرة الثانية: تجربة الدولة الإسلامية

الفصل الثاني: سبل المواجهة وآفاق المستقبل

المبحث الأول : طبيعة المواجهة الحالية ومفاعيلها

الفقرة الأولى: طبيعة الحرب

أولاً:هيكلية الدولة الإسلامية وآليات عملها

ثانياً: مدى انتشار التنظيم وموارده

الفقرة الثانية: النتائج الراهنة للحرب على داعش

أولاً: مستوى المواجهة وآلياتها

المبحث الثاني: أليات المواجهة المطلوبة

الفقرة الأولى : تحديد الآليات المطلوبة

أولاً: الإنعكاسات على المستوى الدولي

ثانياً: آليات المواجهة المطلوبة

الفقرة الثانية: آفاق المستقبل

أولا: إعادة صياغة المفاهيم

ثانياً- الوسائل المساعدة في التخلص من ظاهرة التكفير

الجامعة اللبنانية غير مسؤولة عن الآراء الواردة في الرسالة

شكر

أتوجه بالشكر إلى اللجنة الموقرة ، وأخص الأخ والصديق الدكتور علي شكرعلى تشجيعه لي لمتابعة تحصيلي العلمي بعد طول انقطاع، وعلى إشرافه ومتابعته لهذا العمل خطوة بخطوة،وعلى تفهمه لظروف عملي.

أشكره على كل هذا وأكثر.

إهداء

أهدي هذه الثمرة إلى زوجتي وصديقتي وحبيبتي، ميرا، نصفي الأجمل والأقوى..

المقدمة

إن عنوان الدراسة (مستقبل الحركات التكفيرية وسبل مواجهتها)، يأتي كمحاولة لمقاربة ظاهرة التكفير لجهة النظر في أسبابها أو انعكاساتها، ولجهة البحث في كيفية مواجهتها، انطلاقاً من أثرها في العلاقات الدولية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة على الصعيد العملي في مدى تأثيرها في دور العالم الإسلامي في النظام العالمي، بعد أن سوَق الغرب عموماً والولايات المتحدة الأميركية بشكل خاص لظاهرة الإسلام المتطرف على أنه أحد أوجه الخطر المحدق بمسار العلاقات الدولية ومع الوقت ابتكروا عبارة " اسلاموفوبيا" كمفهوم يهدد السلم الدولي لتصبح متداولة في أدبيات النظام العالمي القائم، ولتمثل أحد تجليات العالم النامي- الذي تشكل البلدان الإسلامية مكوناً رئيسياً فيه. وهذا يؤكد أن القوى المتحِكمة بمسار العلاقات الدولية بدأت البحث عن عدو بديل مع أفول دور اليسار كعدو بعد أن كان شكل الركيزة التي بنيت عليها الاستراتيجيات الغربية، والأطر النظرية المناهضة لفكره، والتي مكنت الولايات المتحدة، والتي مكنت الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية من بناء مسيرتها العالمية ما ساعدها أواخر ثمانينات القرن المنصرم على تحقيق تفوقها واستمرارها في الوقت الذي انهار فيه مشروع المعسكر المقابل أمام عجزه عن تحمل أعباء المواجهة، ومع خروج ذلك العدو من ساحة الصراع،كان لا بد من إيجاد عدو جديد فكام الفكر الإسلامي المتطرف عموماًــ والفكر التكفيري بشكل خاص.

بناءً على ذلك، عمدت الولايات المتحدة ومن ورائها دول أوروبا الغربية إلى تسويق الإسلام- بالتزامن مع ربطه بالإرهاب- كفاعل سلبي في العلاقات الدولية، يمكن جعله خلفاً للعدو اليساري. هذا التوجه يفسر لنا تصاعد العمليات الإرهابية التب قام بتنفيذها شباب مسلمون في العالم الإسلامي وخارجه، وصولاً إلى "خلافة داعش" نموذج الدولة الإسلامية التكفيرية القائمة على الخلافة. فهذه العمليات نجم عنها نتائج كثيرة وكانت أهم تجليات تلك المظاهر إعلان الحرب على داعش ومشروع دولتها التكفيري.

وهذا يحتم دراسة هذه الظاهرة دراسة أكاديمية تقاربها من منطلقات علمية مبينة أهميتها في الميدان الأكاديمي، والذي ينطلق من الفرضية التي تقول بأن الفكر التكفيري هو نتاج مجتمعاته وليس طارئاً عليها.

حملت الحرب عنوان القضاء على الإرهاب والجماعات الإرهابية التكفيرية، وبما أن الجماعات الإسلامية التكفيرية هي التي حملت لواء العداء للآخر-أياً كان هذا الآخر-، وقامت بعمليات إرهابية، من

هنا جاءت الحرب ضد المشروع التكفيري وفق ما أعلنت واشنطن وإذا كان هناك حرب حقيقية ضد هذه الظواهر وتجلياتها، فكيف بالإمكان أن نعتبر أن هناك حرباً حقيقية والأطر الفكرية موجودة ومستمرة في الدعوة لهكذا نهج، وهي تغطى أحياناً بتحالفات استراتيجية تشكل الولايات المتحدة أحد أركانها؟. وهل تكفي الحرب العسكرية للقضاء على التكفير ومشاريعه أم يجب البحث في سبل مواجهة أخرى؟هذه التساؤلات تمثل الإشكاليات التي تطرحها الرسالة بهدف البحث في كيفية المواجهة والنظر في مستقبل الحركات التكفيرية، وسنعمل على دراستها مستخدمين المنهج التحليلي.

ولمعالجة هذا الموضوع سنعمد بداية إلى رصد محاولات مواجهة ظاهرة التكفير التي جرت حتى الآن وهي تمثلت بالحملات العسكرية على داعش وما تمخض عنها من نتائج. ومن ثم البحث في السبل الكفيلة بالقضاء على المشروع التكفيري الحالي والحد من هذه الظاهرة في المستقبل ومنع تحولها إلى مشاريع.

بناءاً على ما تقدم، فإن البحث في سبل مواجهة ظاهرة التكفير ينطلق من شقين، أحدهما يتمثل بالنظر في ظروف النشأة والتطور وكيفية الحد من انتشار الفكر التكفيري وهذا ما سنتناوله في الفصل الأول، أما الثاني فيبحث في سبل مواجهة المشروع القائم والمتمثل ب" الدولة الإسلامية" ومنع تجدد هكذا مشاريع، وهذا ما سنعالجه في الفصل الثاني .

الفصل الأول: الجذور الفكرية ومشاريع التكفير

مدخل:

صارت ظاهرة التكفير محور اهتمام الباحثين والقادة السياسيين ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي بكل أشكالها، كما وأنها عنوان اهتمام الرأي العام العالمي، وانطلاقاً من هنا فهي محور العلاقات الدولية. فمشروع الدولة الإسلامية(داعش)– التكفيري– الذي قام على أراضي العراق وسوريا وما قدمه من نموذج عنفي يفتقد لأدنى مقومات الإنسانية، جعل التكفير الذي يعتنقه القيمون على هذا النموذج محطاً للأنظار ومدار بحث وتحليل.

ولَد المشروع انعكاسات ونتائج. داخلية على صعيد الدول التي قام على أراضيها(العراق – سوريا). وإقليمية على ىمستوى الشرق الأوسط (التفاعلات بين مكونات المنطقة وبشكل أساسي البلدان العربية وتركيا وإيران وإسرائيل). وعالمياً (الدور الروسي والدور الأميركي). وجاء ليسهمم بتكريس الصورة

السلبية عن تجربة الإسلام السياسية حيث غالباً ما كانت السياسة في الإسلام تصوّر كسياسة تطرّف تتسم بانعدام الاستقرار والتوازن والعنف[1]، مع الإشارة إلى أنَ هذه الصورة أسهم في بلورتها الدور السلبي للعديد من الحركات الإسلامية من جهة، واستثمار الغرب لها من جهة أخرى.

لذلك نحن عندما ندرس ظاهرة التكفير، ومشاريعها، وكيفية مواجهتها، سننطلق من بعدين، الأول مرتبط بالبعد العالمي ،بمعنى الظروف المرتبطة بالعلاقات الدولية وتطوراتها وتأثيرها في هذه الظاهرة. والثاني مرتبط بطبيعة الظاهرة بحد ذاتها وعوامل نشوئها، وتبلورها فكرياً في ظل تطور الفكر والمجتمع والنظام السياسي الإسلامي. لقد تميز تنظيم داعش باستخدام العنف المفرط، والتفَنن في أنواعه، وابتكار انواع جديده فاقت كل مظاهر العنف التي شهدتها البشرية في الحقبات التاريخية المختلفة.وإذا ما أردنا البحث في جذور هذا الفكر التكفيري والمظاهر التي تجلى فيها، علينا العودة إلى الأسس الأولى التي قام عليها، ومتابعة مسار تطوره لمعرفة العوامل التي أثرت فيه، وبعد ذلك البحث في العوامل التي ساعدت في تحَوله إلى مشروع.فما هي جذور الفكر التكفيري؟. وكيف تمظهر في إطار العلاقات الدولية؟.

[1] Beverly- Milton, Edward, ***Islam Politics In The Contemporary World***, Polity Press,1st p,2004,pp x1-4

المبحث الأول: جذور الفكر التكفيري وأسسه

يعود الهدف من البحث في جذور الفكر التكفيري إلى معرفة كيفية مواجهته بعد ما نجم عن تحوله إلى مشروع مع دولة " داعش" وما نجم عنه من أعمال عنف أدَت إلى تهديد السلم والأمن على مستوى العالم ككل بعد أن شملت هجماتها الإرهابية قارات العالم . ولفهم مظاهر العنف التي نجمت عن تجربة داعش، لا بد من العودة إلى تحديد مفهوم عبارة "عنف" والتي تعطي لغوياً معنى: عنف عنفاً وعنافة بالرجل وعليه: لم يرفق به وعامله بشدة.. أعنف الأمر أخذه بشدة وعامله بشدة. العنف ضد الرفق وهو الشدة والقساوة[1].

"...والعنف بحسب التعريفات المختلفة هو "ممارسة القوة"، ويترافق مع الشدة والإيذاء، ومع الألم المادي الذي يقع على الآخر. إلا أن العنف من الناحية الرمزية والمعنوية أكثر اتساعاً، فقد يكون انتهاكاً لخصوصية الإنسان، أو تقييداً لحريته، أو تحطيماً لكرامته بالإذلال والتهميش. وقد يكون العنف في

[1] **المنجد في اللغة العربية والأعلام**، دار المشرق، بيروت ١٩٩٨،ص ٣٧.

عصرنا الحالي تشويهاً للحقائق ــ أو تسلطاً على الرأي العام تقوم به وسائل الإعلام التي تهيمن على الفضاء المادي والمعرفي .

والعنف الرمزي هو عدم الاعتراف بالآخر الديني أو العرقي، أو الثقافي، ومنعه من التعبير عن نفسه وقبوله كما هو. وهو ما يحاول أن يفرضه القوي على الضعيف، وما تفعله بلدان الشمال ببلدان الجنوب، إذ تشترط لمساعدتها أو لتقديم القروض لها تطبيق نماذج سياسية او اجتماعية او اقتصادية؛ مثل نقل الديمقراطية، وفتح الأسواق، وتحرير المرأة ... وهذا ما يمكن أن نسميه "العنف الهادئ" أو "العنف غير العنيف"، والذي تقوم به وسائل الإعلام (بتضليل العقول) والتلاعب بها بحيث يتم إخضاع الآخر من دون أي شعور بالألم او بالإيذاء المادي المباشر"[1].

أمَا على الصعيد المنهجي "فثمة حاجة منهجية للتمييز بين ثلاثة أنواع من العنف : العنف المادي، والعنف الرمزي، والعنف الفكري.

العنف المادي يعني الاستخدام غير العادل للقوة بشكل سلوك فعلي أو قولي من قبل فرد أو مجموعة لإلحاق الأذى بالآخرين بدنياً أو حقوقياً او الإضرار بمصالحهم او أمنهم .

أما العنف الرمزي فيستهدف إلحاق الضرر بالموضوع الذي يمارس عليه العنف سيكولوجياً لجهة خلخلة شعوره بالأمن والطمأنينة أو الحط من كرامته واعتباره وتوازنه. ولا يقل الثاني عن الأول من حيث فداحة العواقب، فهو إن لم يمس حق الحياة لدى الفرد أو الجماعة، على أنه يصيبهم فيما هو مقدس لديهم ، وفي كلا النوعين الهدف هو التأثير في الإرادة، وإكراه الآخرين على التنازل عن حقوقهم أو تلبيتهم مطالب محددة.

[1] د. طلال عتريسي، "حول ظاهرة العنف في المجتمعات الحديثة"، مجلة الغدير ، بيروت، العدد ٤١ شتاء ٢٠٠٨، ص ١٢٨.

أما العنف الفكري فهو المقدمة التي يتكئ عليها العنف المادي او الرمزي، وهو يرتسم على صورة ثقافة وخطاب... "[1].

من خلال تجربة داعش سنرى كيف استخدمت انواعاً غريبة من الإيذاء المرتبط بتسويق العنف بمختلف أشكاله مستندين إلى العنف الفكري الذي يخرج إلى حيز التطبيق من خلال الأشكال الأخرى، بهدف توسيع رقعة انتشار دولتها لكسب المزيد من المساحات الجغرافية على حساب حدود الدول القائمة وفق المفهوم الحديث للدولة.

فقرة أولى: أصل نشأة الفكر التكفيري وأبرز ناشروه

بعد أن ظهرت حدود الدولة الحديثة أي الدولة الأمة مع نظام وستفاليا ١٦٤٨، وبعد أن أفضت حروب الثورة الفرنسية إلى الانتقال صوب الدولة – الأمة التي أرست معالمها الثقافة واللغة المشتركة، حلّ القرن العشرون لتضرم حروبه انقسامات الإمبراطوريتين العثمانية والهابسبرغية[2]، وباقي الأمبراطوريات التي كانت تشكل أحد عناصر النظام العالمي القائم خلال تلك الفترة. من هنا نجد أنه لنحو ثلاثة قرون ونصف

---

[1] د. عبد الغني عماد، **ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية** ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠، ص ص ٧ –٨ .

[2] هنري كسنجر، **الدبلوماسية من الحرب الباردة وحتى يومنا هذا**، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥، ص ص ٥٢٧-٥٢٨.

حكم مفهوم الدولة الأمة مسار النظم السياسية وهو ترسَخ خلال القرن العشرين حين ارتسمت ملامح المجتمع الدولي المستمر حالياً على أساس قيام الدول المرسَمة الحدود. ومنذ بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية غاب مفهوم الدولة الدينية وتتالت الأحداث حتى ظهر نموذج داعش مؤخراً، واعتبر نفسه وريث أو بديل الإمبراطورية الإسلامية الزائلة.[١]،وهنا لا بد من الإشارة إلى أنَ كلمة دولة لا تشير إلى السلطة التي تمارس داخل المجتمع المدني فقط، وإنما إلى المجتمع بأسره منظوراً له من وجهة نظر تنظيمه السياسي الإجمالي وهذا المعنى الذي يسود عموماً ميدان العلاقات الدولية حيث تكون الدولة شخصاً مباشراً للقانون الدولي العام[٢].

وعلى الرغم من أن مشروع الدولة الإسلامية المعبر عنه ب (داعش)[٣]، حديث العهد لجهة تكوين نظام سياسي له مقوماته –والتي ليس بالضرورة أنها تعني قيام دولة بمفهومها الحديث–، إلا أنه أخرج الجماعات المسلحة التي تتضوي تحته من خانة المجموعات وأعطاها بعداً تنظيمياً أشمل.

وهذا المشروع (التكفيري) رغم حداثته، إلا أن جذوره العقائدية ليست حديثة بل بدأت في عهد الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب فكانت أول جماعة تكفير هم"الخوارج"، الذين قالوا بتكفيره وقاموا بقتله وهو خليفة المسلمين.

أولاً: سياق تطور الفكر التكفيري

أما إذا ما عدنا إلى الوقت الراهن، نجد أن العودة إلى الإسلام كانت تمثل المسوغ الأساسي لحركات الإحياء السلفي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كالوهابية والسنوسية والمهدية. وقد نشأت أزمة دينية وشرعية وسياسية عندما ألغيت الخلافة عام ١٩٢٤وقسم الشرق العربي إلى دويلات وطنية بحسب المفهوم العصري ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى ظهر تيار سلفي محافظ شديد العنف[٤]. كان سبق تجربة الدولة الاسلامية الراهنة، تجارب أخرى بعد انهيار الامبراطورية العثمانية في العام

---

[1] Michael weiss,Hassan Hassan ,**Inside Thr Army Of Terror(ISIS),**RganArts,New York2015,Introduction.

[٢] فيليب برو، **علم الاجتماع السياسي**، ترجمة ممد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٩٨، ص ١٠٦.

[٣] وهي عبارة تعني الدوله الإسلامية في العراق والشام. وللتصحيح فان عبارة داعش لا تعني الدولة الإسلامية ، كما وأنها لا تعبر عن المضمون الذي استخدمت بالأساس لأجله والذي كان يفترض تحالف جبهة النصرة مع تنظيم الدولة الاسلامية في العراق.

[٤] مجموعة باحثين، **الحركات الإسلامية والديمقراطية في الفكر والممارسة**، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، ط ٢،بيروت، ٢٠٠١، ص ص ٨-٩.

١٩١٧، لكنها لم ترق إلى مستوى إقامة دولة الخلافة الإسلامية. وكان أبرز تلك التجارب تجربة حركة طالبان وتنظيم القاعدة في أفغانستان، وكان لتأويلات بعض منظري الحركة الإسلامية ل "الدولة الإسلامية" التأثير الأساسي الذي قاد إلى استخدام القوة من أجل قيام تلك الدولة، ولعبت فكرة الجهاد الدور الرئيسي في هذا الخطاب[١].

ونشير إلى أن التجارب التي عرفها مشروع قيام دولة إسلامية تختلف عن التجربة الراهنة التي تميزت بنقل خاصية التكفير إلى حيز التطبيق من خلال قيام مشروع الدولة على أساسها. تمكن قادة المشروع من تحقيق جملة من الخطوات التي جعلتهم يفرضون أنفسهم كمحرك لمتغيرات منطقة الشرق الأوسط، ويمكن القول للنظام العالمي ككل. بعد أن "شكل المسلمون بقدومهم إلى أوروبا الظاهرة الأوسع انتشاراً للهجرة العمالية ما بعد العام ١٩٤٥ والتي أدّت إلى استيطان مجموعات هامة من الأقليات العرقية في سائر أنحاء المنطقة. وإذ استقر المسلمون في البلدان التي هاجروا إليها، راحوا يفرضون تحديات محيطهم، ويواجهون في الوقت نفسه تحديات جديدة. وفي هذا السياق اضطر المهاجرون والسكان الأصليون إلى إجراء سلسلة معقدة، وأحياناً غير سهلة، من التعديلات على تفاصيل حياتهم اليومية. لكن الحضور المسلم الذي يزداد ترسخاً، وتفاعل المسلمين مع محيطهم يطرحان مسائل وتحديات أكثر عمقاً ترتبط بالمفهوم الفردي والجماعي للهوية الذي يؤثر بالتالي – وسيظل يؤثر– في الأنماط الأساسية للحياة العامة والمشتركة في أوروبا[٢]، وقد جاءت تجربة داعش بعد القاعدة لتثير المزيد من الجدل حول الوجود الإسلامي في الغرب ومفاعيله ما يدفع باتجاه المزيد من التطرف والتطرف المضاد.

ويعتبر زبغنيو بريجينسكي أن أوراسيا الوسطى التي يعيش فيها نحو نصف مليار شخص في مجموعة دول غالبيتها دول إسلامية هم في معظمهم متباينون عرقياً ودينياً، وليس بين تلك الدول واحدة مستقرة[٣]. ويستمد العالم الإسلامي أهميته المحورية من هذا الإطار الحضاري التاريخي، ومن عوامل أخرى عديدة من بينها أنه انتقل كمنطقة من منطقة إقليمية لها مكانتها الموقعية التي تصل الشرق بالغرب إلى منطقة اقتصادية من الطراز الأول بتفاقم ثروتها النفطية،[٤] وهذا الإنتقال بالدور يفسر أحد جوانب النتائج التي

---

[١] مجموعة باحثين، **الإسلاميون والمسألة السياسية**، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، ط ٢،بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢١٣.

[٢] يورغن نلسن، **المسلون في أوروبا**، دار الساقي، بيروت ، ٢٠٠٥، ص ١٠.

[٣] زبغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، ترجمة أمل الشرقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان،١٩٩٩، ص ٧٢.

[٤] سيار الجميل ومجموعة من الباحثين، **العرب وتحديات النظام العالمي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٢٤

نجمت عن الحرب على الإرهاب والتي أدت إلى واقعه الراهن.هذا الواقع تجَسد في ظل حراك فاعلين غير دولتيين وممارستهم ضغطاً متصاعداً على النظام الدولي ومن بينهم الحركات السياسية والدينية النافذة ومنها التي تمارس عنفاً استئصالياً وعابراً للحدود[1].

من هنا فأن مقاربة هذا الموضوع مقاربة أكاديمية تبدو ضرورية في ظل الانعكاسات الناجمة عن قيام دولة داعش انطلاقاً من البعد الحضاري والأهمية التي يتمتع بها العالم الإسلامي وتأثيره في مجريات العلاقات الدولية، وللبحث في الدور الذي يمكن أن يلعبه دولاً ،ومنظمات، وشعوب، في مواجهة مشروع الدولة الإسلامية خاصةً بعد فشل الحرب التي خاضتها الولايات المتحدة الأميركية على القاعدة، وطالبان، والتي تتلاقى جذورهما العقائدية مع داعش. ولدراسة هذه الظاهرة لا بد من الانطلاق من الناحية العقائدية، ومن ثم البحث في ظروف قيام الدولة الإسلامية كمشروع ينقل العقيدة من أروقة المدارس الدينية إلى حيز التنفيذ وما تميز به هذا الانتقال.

لمعرف طبيعة ظاهرة التكفير ومسارها، لا بد لنا في البداية من البحث في توجهات الحركات الإسلامية، فتلك الحركات تختلف باختلاف توجهاتها، ولكنها تنضوي بالمجمل تحت عنوان السلفية. فالعالم الإسلامي كبير ومتشعب ومحاولات الوحدة التي تسعى إلى جمع المسلمين مقيدة بقوة بهذه التشعبَات. الانقسامات المذهبية والإثنية جزأت العالم الإسلامي وحالت دون محاولات توحيده[2] شكلت ظاهرة التكفير أحد مظاهرها.

والسلفية لغة، نسبة إلى السلف أو الجماعة المتقدمين كما في لسان العرب عند أبن منظور. وهي كمفهوم تعني الرجوع في الأحكام الشرعية إلى منابع الإسلام الأولى (الكتاب والسَنة)مع إهدار ما عداهما، ما يستتبع تلقائياً من معتنقيها–وفق رؤيتهم– العمل على "تصحيح" العقيدة والعبادة لدى المسلم وتنقيتهما من البدع الموروثة .

إن السياق العام للسلفية جاء متلائماً مع واقع تطور المجتمع الاسلامي تاريخياً انطلاقاً من استعداد المسلمين الفطري لتقبلها ، غير أن مظاهرها الحديثة التي بدأ تأثيرها الفعلي مع بداية القرن التاسع عشر

---

[1] محاور وحوار، **القوى العالمية في بيئة متحولة** ، نحو استقطاب دولي جديد، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد ١١ نيسان ٢٠١٥. ص ١٥.

[2] Bassim Tibi , ***The Challenge Of Fundemantalizm: Political Islam And New World Disorder*** , University Of California Press , London ,2002,p 70.

تحتاج إلى مزيد من الدراسة لفهم طبيعة حراكها السياسي ، وتأثير هذا الحراك في مستقبل العالم الإسلامي والعلاقات الدولية.

في القرنين التاسع عشر والعشرين انصرف السلفيون إلى "تصحيح" عقائد المسلمين "وتطهيرها" من البدع الموروثة والجديدة –بحسب اعتقادهم–. وقد تركزت جدالاتهم للتطهير الديني ضمن أهل السنة والجماعة على العقيدة الأشعرية والممارسات الصوفية . وفي النصف الثاني من القرن العشرين أمكن لهم أن ينشروا مفهوم "الولاء والبراء" تجاه الديانات والثقافات والمذاهب الأخرى، لكن داخل المجتمعات الإسلامية. ومع هذا الطرح بدأ مشروع الفكر التكفيري يأخذ أبعاده الاجتماعية.

تمكنت الظاهرة السلفية من خلال الحالة السلفية الوهابية من أن تتغلب، بسبب الاقتران بينها وبين الدولة في المملكة العربية السعودية، فبظل هذا التلاقي مع السلطة السياسية توفرت لها سبلٌ للدعم والتمويل لم تتوفر في الغالب لسواها من الحركات الدينية – فمكنّت لنفسها بأكثر مما مكنت مؤسسة الأزهر التاريخية ونضالاتها لنفسها – فإنها بتغليبها التشدّد في أمور العقيدة والعبادة، ورفضها القاطع للاجتهاد في هذه الأمور جعلت أولاً من الهمّ الديني أساساً لعملها، وأهملت تماماً الهمّ الدنيوي للأمة، ما أدى إلى إخفاقها في تحوّلها إلى حركة إصلاحية برغم الأعداد الواسعة من الأتباع والمؤيدين.

ونحن نشهد الآن نتيجة سلبية لهذا التشدّد الأحادي النظرة الذي قاد – بسبب تضييق الرؤية الدينية – إلى خلافات وفتنة بين المسلمين أنفسهم: بين السلفية المتشدّدة والصوفية في كل من السودان وليبيا ومصر وتونس والمغرب.. وبين السلفيين أنفسهم من جهاديين وغير جهاديين (وهم جميعاً من أهل السنة) في جانب، وبين السلفيين المتشدّدين والشيعة والفرق الإسلامية الأخرى وبينهم وبين كافة الجماعات التي تختلف عنهم عقيدة وتفكيراً[1].

إن المجتمعات الإسلامية شهدت مساراً داخلياً تميز بعدم الانسجام الذي بلغ أحياناً حدَ أعمال عنف ومواجهات مسلحة، داخلية وخارجية. وعلى الرغم من تأثير المتغيرات الدولية، فإن الواقع يفيد بأن عمليات بناء الدولة الحديثة في معظم الدول الإسلامية بعد تحولها عن دولة الخلافة لم ينجح. ومن المآخذ على الحركات الإسلامية الماصرة... أنها لم تستطع أن تقدم برنامجاً اجتماعياً– اقتصادياً، وهي تناضل من أجل إقامة المجتمع الإسلامي[2].ولا بد من الإشارة إلى أنّ معظم الحركات والجماعات

١ راجع ، مجلة معلومات(السلفية غير الجهادية) ، العدد ١٠٢، أيار ، ٢٠١٢، المركز العربي للمعلومات، بيروت ص ٥.

٢ عبد الوهاب الأفندي، **الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم الغربي- الحركات الإسلامية النشأة والمدلول وملابسات الواقع**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢، ص ٢٢، وص ٤٨-٤٩

الإسلاميةالاستبعادية المتشددة في العالم العربي وبخاصة في مصر بالخطاب المتشدد الاستبعادي لسيد قطب[1].

لذلك فإن دراسة ظاهرة التكفير بأبعادها الفكرية– السلفية– ومشاريعها التي تبلورت خلالها، لا يمكننا فهمها إلا من خلال العودة إلى أسسها المفاهيمية التي حددتها عقائدياً مدرسة الامام أحمد بن حنبل (خلال الخلافة العباسية) وتطورت مع فقهاء ومفكرين خلال القرون اللاحقة إلى أن وصلت هذه الأفكار إلى حيز المشروع عندما واجهت بتفاوت منذ الثمانينات مع بداية ما عرف بانتشار الصحوة الإسلامية، تحديات ومتغيرات كبيرة تفوق ما راكمته الحركات الإسلامية من تجربة في مسيرتها الحديثة والمعاصرة[2] وهي قامت على أسس عقائدية وفكرية، تركَزت حول مسألة الحاكمية،التي تعني أن التشريع حق خاص لله ورسوله،ولا تعتقد بالفكر السياسي الوضعي القائم على تمثيل الأمة من منطلق ديمقراطي، وقد اتخذ هذا المفهوم بعداً مع سيد قطب حين شدد على ضرورة انعكاسها على كافة جوانب الحياة الفردية والعامة وعلى الدولة بشكل خاص[3]. وشكلت الحاكمية الركن الأساس الذي قام عليه مشروع الخلافة مع تجربة "الدولة الاسلامية"التي قامت على أجزاء من أراضي العراق، وسوريا، مؤخراً وتركت تأثيراتها على واقع العلاقات الدولية كما سنرى في الفصل التالي.

إن الخوض في مسألة الجذور الفكرية للتكفير يرتبط بالعقيدة الدينية انطلاقاً من تجربة الخوارج في عهد الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب والذين اعتبروا أن لا حكم إلا لله، ومن ثم أدى بهم الأمر إلى اغتياله. بعد ذلك تبلورت آراء بعض الفقهاء وفتاويهم خلال العصور الإسلامية، ولاحقاً شهد تنظير بعض المفكرين الاسلاميين له إلى أن بتنا اليوم في ظل ظاهرة "سلفية تكفيرية". فتطور هذا الفكر ليس بحديث بل هو وليد المراحل التاريخية حيث جاء مرافقاً للتطورات التي شهدها المجتمع الإسلامي في سياق تشكله التاريخي.

وإذا كان تاريخ التكفير في الإسلام يرجع إلى عهد الخلفاء الراشدين مع ظهور فرقة الخوارج، فإن تاريخ نشوء "السلفية" كحركة ترجع إلى العصر العباسي، وهي تعتبر امتداداً لمدرسة أهل الحديث التي ظهرت في تلك المرحلة على المذهب الحنبلي بقيادة الإمام احمد بن حنبل(٢٤١هـ / ٨٥٥م)، الذي اعتصم بالنصوص في مواجهة العقلانية اليونانية.

---

١ احمد الموصللي، **جدليات الشورى والديمقراطية: الديمقراطية وحقوق الإنسان في الفكر الإسلامي**، مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٣.

٢ مجموعة باحثين، **الحركات الإسلامية في مواجهة التسوية**، مركزالدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق،بيروت، ١٩٩٥، ص ١٧.

٣ توفيق السيف، **حدود الديمقراطية الدينية**، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٥٤.

بعد ذلك توالى علماء دين تبنوا هذا النمط الفكري السلفي- التكفيري حتى برز أبن تيمية (٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) الذي يعتبر أكبر أعلماء السلفية التقليدية، وهو أَثَر في معاصريه لا سيما إبن قيم الجوزية، وإبن كثير، والذهبي، وغيرهم.

بعد إبن تيمية ضعفت الدعوة السلفية إلى أن ظهرت الدعوة الوهابية بقيادة محمد إبن عبد الوهاب(١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢م) في نجد [١].

وعند رصد مراحل تطور السلفية يمكن القول بأنها نشأت في العصر العباسي بتزمت مع احمد إبن حنبل ،ثمَ شهدت انطلاقة كبيرة مع إبن تيمية- الذي جاء بعد ما يقارب الخمسة قرون من مرحلة أحمدبن حنبل - ، ومن ثم أخذت منحاً تميز بالمزيد من التشدد مع محمد إبن عبد الوهاب- بعد ما يزيد عن أربعة قرون ونصف من إبن تيمية- . بعد ذلك لم تشهد السلفية تطوراً فاعلاً إلى أن شهدت اتجاهاً عقلانياً بظل بروز مدرسة الإحياء والتجديد مع محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم مع طرح الجامعة الإسلامية الذي ظهرت ملامحة نهايات القرن التاسع عشر وتبلور مع بدايات القرن العشرين.

جميع هذه التطورات جاءت في كنف الدولة الإسلامية. فبدأت أسس السلفية مع العصر العباسي ونشوء المذهب الحنبلي(نسبة للإمام أحمدبن حنبل)، ثم تطورت خلال العصر العثماني، الذي كان آخر نموذج للخلافة الإسلامية التي امتدت منذ نشوء الدعوة واستمرت لنحو ثلاثة عشر قرناً.

ومن ثم بعد انهيار الحكم الإسلامي ، خلال القرن العشرين عرفت السلفية تطوراً مفصلياً تمثّل بنشوء السلفية الجهادية التكفيرية، التي خرجت من رحم المدرسة السلفية التكفيرية، وهنا حدث التحول من الاطار الفكري، إلى حيز المشروع ،وكان الدور الأساسي في هذا الانتقال لسيد قطب كما أوردنا سابقاً.

ما نود الأشارة إليه أنّ هذا العرض لسياق تطور السلفية يهدف إلى الإضاءة على طبيعة هذه الحركة ومسارها لفهم الدور الذي تلعبه اليوم في الساحة العربية والعالمية. لقد برز دور السلفية عبر منحيين الأول سياسي، تمثل بالتحوّل من الابتعاد عن العمل السياسي إلى المشاركة في السلطة، والثاني في دور بعض فصائلها في عمليات العنف والمواجهات المسلحة التي وصلت بها إلى ممارسة الإرهاب بعد تبلور الحركة السلفية الجهادية، وهذا المنحى يشكل محور الدراسة .

١ راجع علي شكر، السلفيون بين الدعوة والسياسة والجهاد، مجلة معلومات(السلفية غير الجهادية) ، العدد ١٠٢، أيار ٢٠١٢.

يتبين أن التكفير كإطار فكري يرجع إلى عصر الخلافة الراشدة. أما كظاهرة عملانية حديثة فقد ارتبطت بسيد قطب (١٩٠٦م – ١٩٦٦م) الذي التفّت حوله مجموعة قررت توجيه ضربات ضد الحكومة المصرية باعتبارها نظام معادي للإسلام وخارج عن منهج الله رافض التحاكم لشرعه. لكن ضعف الإمكانات حال دون تنفيذ عمليات [١].

يتحدث أيمن الظواهري عن سيد قطب قائلاً: إنه أكد على مدى أهمية قضية التوحيد في الإسلام، وأن المعركة بين الإسلام وأعدائه هي في الأصل معركة عقائدية حول قضية التوحيد، أو حول لمن يكون الحكم والسلطان، لمنهج الله ولشرعه أو للمناهج الأرضية والمبادئ المادية أو لمدعي الوساطة بين الخالق وخلقه. ويعتبر الظواهري أن الجهاد في أفغانستان كان دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن/ أميركا[٢].

وكان لهذا التمييز أو الفصل بين المنهج الإلهي، و المناهج الأرضية، أثره الواضح في تحديد الحركة الإسلامية لأعدائها. واعتبار أن العدو الداخلي لا يقل خطورة عن العدو الخارجي، بل إنه الأداة التي يستخدمها العدو الخارجي والستار الذي يحتمي وراءه في شن حربه على الإسلام.

من هنا بدأ منطق التكفير لدى بعض المفكرين الإسلامين يتبلور ويصاغ كحالة دينية.لذلك يمكن اعتبار سيّد قطب أبرز مؤسّسي الإسلام السلفي التّكفيريّ المعاصر، ونهجه هو الذي بقي مسيطراً على فكر "الإخوان المسلمين" ، وتلقّفه التكفيريون الآخرون.

لا يكتفي سيد قطب بنعت الدولة بالكفر بل جمَعَ إليها المجتمع؛ فأطلق على العصر الحديث صفة "جاهلية القرن العشرين". ويقول أنّ غاية الجهاد في الإسلام هي هدم بنيان النّظم المناقضة لمبادئه (...) بل ممّا يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه أنْ يحدث هذا الانقلاب الشّامل في جميع أنحاء المعمورة[٣].

إن هذا التنظير الفكري لم يقابله ردود فكرية على مستوى عال، بمعنى أنه لم يكن مدار اهتمام المؤسسات الاسلامية الدينية وعلى رأسها مؤسسة الأزهر بما تمثله من دور. لكن الردود بقيت على

[١] ايمن الظواهري، سيد قطب وراء تشكيل نواة الحركة الجهادية، صحيفة الشرق الاوسط، ٢٠٠١/١٢/٤.

[٢] م.ن.

[٣] -(العربي بن ثاير، "الأوان"، ٢٠١٣/١٠/٢)

مستوى المناقشة. فصدرت مناقشات لهذا التوجه من بعض رموز "الإخوان" ، فأصدر حسن الهضيبي– وهو خليفة حسن البنا– كتابه الشهير دعاة لا قضاة، وفيه ردود على سيد قطب تحاول أن ترقى إلى مستوى الدحض المنهجي والفكري، ولكنها بقيت غير مؤثرة على مستوى "الإخوان".

كما ظهرت آراء لأمين صدقي، وعبد الرحمن البنان، وعبد العزيز جلال، وغيرهم، تعارض توجه سيد قطب. ومن الردود الجزئية، جاء رد يوسف القرضاوي الذي تأرجح بين الوقوف في وجه التكفيرية وبين السكوت عليها، فعارض فكرة التشابه التام بين المجتمع الإسلامي المعاصر ومجتمع مكة الذي واجهه الرسول عند نشأة الدعوة الإسلامية .

في حين ظهرت أقوال أخرى لمحمد قطب – شقيق سيد قطب – وسالم البهنساوي، وغيرهما تحاول التخفيف من وقع سياقات تكفيرية واضحة جاءت في كتاب سيد قطب، وكذلك آراء أبي الأعلى المودودي، حول جاهلية القرن العشرين بأنهما أرادا جاهلية المعصية لا جاهلية الفكر والعقيدة[١].

ويعتبر أيمن الظواهري"إنّ سيّد قطب هو الذي وضع دستور "الجهاديّين" ، وإنّ سيّد قطب هو مصدر الإحياء الأصوليّ، وإنّ كتابه "العدالة الاجتماعيّة في الإسلام "يعدّ أهمّ إنتاج عقليّ وفكريّ للتيّارات

الأصوليّة، وإنّ فكره كان شرارة البدء في إشعال الثّورة الإسلاميّة ضدّ أعداء الإسلام في الدّاخل والخارج[٢]. فالجهاديون معادون للدولة الحديثة ولا يستطيعون أن يشكلوا جزءاً من الأنظمة السياسية القائمة، أويكونوا مقبولين من قبل تلك الأنظمة[٣]، من هنا يتبين لنا أن سيد قطب هو الذي أسهم في التأسيس لتحول السلفية إلى سلفية جهادية، وهو إن لم تكن الظروف ساعدته على قيادة مشروع ميداني سلفي جهادي بناءاً على التكفير، فإنه تمكن من وضع البنيان التكفيري للمشروع الذي جاءت الظروف المرتبطة

[١] م. ن.
[٢] صحيفة "الشرق الأوسط"، عدد ٨٤٠٧- في ١٤٢٢/٩/١٩هـ
[3] Bernard Rougier,***The Sunni Tragedy In The Middle East Norprinceton***,University Press Princeton And Oxford 2015,p236.

بالعلاقات الدولية، والتي بدأت مع الحرب على أفغانستان، واحتلاله، من قبل الاتحاد السوفياتي عام١٩٧٩ ،لتدفعه قدما نحو التطبيق عبر إطلاق مشروع الجهاد، وتحديد الكافر الذي وجب الجهاد ضده والذي كان حينها وهو "السوفييت".

ن هذا السرد لمراحل تكون السلفية وتحولها إلى جهادية ،ثم إلى تكفيرية جهادية لا يعني أن الدين الإسلامي يقر بهذه المسيرة. فما تقدمه هذه الجماعات اليوم هما خياران لا ثالث لهما، ويتمثلان، إما باستخدام للعنف وفرض الدخول بالإسلام وفق رؤية هذه الجماعات، أوإما القتل. وذلك ليس فقط لغير المسلمين، بل ضد من لا يوافق هذه الجماعات توجهاتها حتى وإن كان على نفس المذهب الذي تتبعه. إن هذا المسار لا يعبر عن مضامين الدين الإسلامي التي تستند بالأساس إلى القرآن الكريم الذ حسم بأن لا إكراه في الدين، وقال بالوسطية " وجعلناكم أمة وسطاً"،كما وأن الرسول محمد حدد خلاصة بعثه بقوله: انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وبما أن الإسلام دين عالمي لكل البشرية كما يجمع فقهاءالمسلمين، فإن هذه القيم بالتالي هي قيم عالمية وليست محصورة ضمن إطار العالم الإسلامي فقط . ونحن نتساءل في هذا المضمار أين تجربة هذه الجماعات الفكرية والميدانية من هذه المبادئ الأساسية التي أوردناها كإطار عام للإسلام وهي تشكل جزءاً يسيراً من الأسس التي يمكننا البناء عليها لدحض ما تقدمه هذه التجربة من إطار عقائدي مجتزء وغير سوي، ونحن إذ نكتفي بهذا القدر انطلاقاً من مقاربتنا للدراسة ضمن الأطر التي أوردناها في مقدمتها كونها ليست هادفة إلى الدخول في جدال فقهي وعقائدي، بل لرصد هذه التجربة ضمن مسار تطور العلاقات الدولية مستندين إلى العقيدة وفق ما تتطلبه محاورها.

ثانياً: ظروف تحول الفكر إلى التطبيق

شهدت العلاقات الدولية جملة من المتغيرات خلال القرن العشرين فمع تعددية القوى التي سادت في بدايات القرن عرف العالم حربان عالميتان أفضتا إلى تحول توزع القوى إلى ثنائية بدلاً عن التعددية، ومن ثم مع انتهاء مرحلة الثنائية خضع العالم للتفرد الأميركي لنشهد أحادية في قيادة النظام العالمي من قبل واشنطن. خلال تلك المرحلة كانت ظاهرة التكفير قد أخذت تتبلور وتتحول إلى مشروع متأثرة بانعكاسات تلك التبدلات، لا سيما الأثر الذي تركته مرحلة انتهاء الإمبراطوريات وتفككها وعلى رأسها الإمبراطورية العثمانية.

وخلال مرحلة التفوق الأميركي – التي برزت عقب تفكك الاتحاد السوفياتي أوائل التسعينات – على حساب القوى الأخرى، عرف العالم أوائل تسعينات القرن العشرين متغيرات عديدة كان اهمها وأكثرها تأثيراً حرب الخليج الثانية عام١٩٩١، وهجمات ١١ أيلول ٢٠٠١. في ظل تلك الأوضاع ساد الحديث عن غياب اليقين؛ بمعنى غياب الأفق أمام تطوّر العلاقات الدولية، وظهور عدة مجالات قد يتأتى منها التهديد للسلم والأمن الدوليين، "بإنتهاء الحرب الباردة لم تعد لعبة الدبلوماسية العالمية كما كانت قضية طرفين متشابكين في منافسة مباشرة، أما الآن فقد صار هناك أكثر من فريقين فهناك نفوذ متصاعد للاعبين من غير الدول من الإرهابيين الدوليين على الشركات المتعددة الجنسيات إلى منظمات المصالح العالمية"[١].

محطات عديدة شهدها تطور التكفير كفكر سلفي، ومن ثم مع تحولة إلى حيز التطبيق نتج عنه ما يعرف بالسلفية الجهادية التكفيرية إلتي نجم عنها قيام دولة داعش بعد سقوط مدينة الموصل في العراق. فسقوط الموصل يعتبر نقطة تحول في تاريخ العراق وسوريا والشرق الأوسط[٢].

هذا النوع من السلفية جاء بعد انهيار الخلافة الاسلامية بعقود، وبالتحديد انبثقت السلفية الجهادية عن حرب أفغانستان(١٩٧٩–١٩٨٩) التي ارتبطت بالاحتلال السوفياتي لهذا البلد، الذي كان نقطة تحول في الحركة الإسلامية السلفية ونقلها إلى سلفية جهادية، صحيح أن السلفية الجهادية جاءت لمواجهت الغزو السوفييتي، لكن شعارها كان محاربة هذا "المعسكر الكافر". وهنا يتبين كيف كان مسار الفكر السلفي التكفيري (خلال الخلافة الاسلامية) وتطور ومن ثم تجسد كمشروع"جهادي تكفيري"(بعد انتهاء الحكم الاسلامي).

١– سلفية الإخوان ومشروعها

بعد عشر سنوات من هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م – ١٩١٨م ، وإلغاء الخلافة الإسلامية رسمياً ، ظهرت جماعة "الإخوان المسلمين" في محاولة لسد الفراغ الناشئ عن غياب دولة الخلافة في العالم الإسلامي ، وتطويق الأفكار القومية والاشتراكية والليبرالية التي تزامن انتشارها في العالم العربي والإسلامي مع سقوط الخلافة . وقد تقاطعت مع أهداف الجماعة الوليدة مصالح

---

[١] مادلين أولبرايت، **السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت: سيرة ذاتية**، تعريب د.محمد توفيق البجيرمي، شركة الحوار الثقافي، بيروت،٢٠٠٤، ص ص ٢١٠–٢١١.

[2] Patric Cockburn,***The Rise Of Islamic State ISIS And The New Sunni Revolution*** Verso London- New York,Patrick Cockburn2014-2015-p13.

متناقضة لقوى داخلية وخارجيـــة تركت تأثيراً كبيراً على مسيرة جماعة "الإخوان" وتحالفاتها العربية والدولية وخطابها السياسي والإيديولوجي .

حرصت هذه الحركة على أن تزاوج بين الأفكار السلفية المعتدلة والمعاصرة للشيخ رشيد رضا، والمخرجات السلفية للبيئات البدوية التي صاغت – في وقت لاحق - الجهاز المفاهيمي لفكر وثقافة ابن تيمية، وابن القيم ،وابن كثير، وابن رجب الحنبلي، ومحمد عبد الوهاب ، وجنحت إلى تكفير كافة المذاهب غير السنية كالجعفرية والزيدية والإسماعيلية والأباضية , ولم تستثن من ذلك بعض الفرق السنية كالأشعرية والصوفية.

كان حرص جماعة "الإخوان المسلمين" واضحاً على ربط هذه المخرجات السلفية بأكبر مرجعية سلفية متشددة في التاريخ الإسلامي، وهي الأمام أبو حامد الغزالي، ما أدّى إلى تمهيد التربة لولادة سلفيات أخرى مدمّرة, تمثلت بدايتها الأولى في سلفية سيد قطب المتطرفة، حيث يصف الكثير من المفكرين كتابه التكفيري الشهير "معالم في الطريق"الصادر عام ١٩٦٤م، بـــ "مانفيستو" الإسلام السياسي المتطرف الذي أنجب في أواخر القرن العشرين منظومات فكرية متطرفة وحركات جهادية مقاتلة في عدد من البلدان العربية والإسلامية على طريق إقامة دولة الخلافة [١].

٢- السلفية الوهابية ومشروعها

يحمل تنظيم داعش فكراً وهابياً خالصاً[٢] ، وهذا الفكر تأسس كما ذكرنا على ركيزة العودة إلى السلف والتقيد بالنص، لذلك فإن معتنقيه يأخذون حرفية الفتاوى ويطبّقوها بالتزام تام. وقد ساد التداخل بين "الأخوان" بأحزابهم و"القاعدة" بفروعها. ويصف مراقبون "داعش" أو "الزرقاويين الجدد" بأنها الولادة الثالثة لـــ "القاعدة"، حيث يغلب فيها ما يسمى في أدبيات السلفية الجهادية "البعد المكاني للخلافة". فبعد بن لادن بات ملحوظاً نزوع أفرع "القاعدة" إلى الانغماس في النزاعات العربية المحلية. اليوم تمّحى الحدود

[١] أحمد الحبيشي، عن موقع "المؤتمر نت"، ٢٠١٣/٨/٢٣
٢ (عبد الله ناصر العتيبي، "الحياة"، ٢٠١٤/٦/٢٣)

العربية (العراق – سوريا – حدود لبنان الشرقية) وتشير التقارير الغربية إلى أنَ البغدادي يحظى بـــ ١٨ ألفاً من المبايعين له من جنسيات مختلفة[١].

بعد ثلاث سنوات على بدء الجهاد ضد السوفيات نشأ تنظيم القاعدة وتعود تسمية التنظيم إلى عام العام ١٩٨٨ لاحظ أسامة بن لادن أن الكثير من أهالي المقاتلين يأتون إلى مدينة بيشاور للاستفسار عن أبنائهم. ولم يكن متوفراً سجلات منتظمة أو معلومات وافية عن "المجاهدين". وكان نقص المعلومات سبباً في إحراجه مرات عديدة أما بعض زائريه. ولمعالجة هذا الأمر قرر إمساك سجلات تدوّن فيها أسماء المقاتلين وتواريخ وصولهم إلى بيشاور، وتواريخ التحاقهم ببيت الأنصار، ثم تفصيلات عن تدريب المقاتل ومكانه في مواقع القتال، والشهداء، وغيرها من المعلومات. وسميت هذه الإجراءات بـــ "سجل القاعدة"، واختصرت، لاحقاً، باسم "القاعدة" فقط[٢].

عام ١٩٨٢. كان الجهاد محصوراً في أفغانستان ومع انتهاء الحرب وانسحاب الروس بعد عشر سنوات عاد المجاهدون إلى بلادهم وكان نصيب البلدان العربية وافراً منهم، بقيت أفغانستان خلال تلك الفترة بقعة النزاعات المسلحة لفرض السيطرة عليها من قبل عدة جماعات اسلامية جهادية تبلورت فيها ، إلى جانب حركة طالبان الجهادية[٣].

أنتجت الحركات الاسلامية الجهادية مخزوناً بشرياً انتشر في غالبية دول العالم ، وكان لحركة "طالبان" الدور الرئيسي في التحضير والتدريب في العديد من البلدان. "وقد ازداد عدد الإسلاميين المتدربين، وانتشروا وأضحى لهم شبكات من المدارس ومعسكرات التدريب. وتولت "طالبان" و"القاعدة" تدريبهم، وتحول العديد منهم إلى مناهضين لحكوماتهم من مصر إلى الجزائر واليمن والسعودية وماليزيا وتايلند والفيليبين وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان والشيشان وحتى في الصين..[٤].

وقد حصلت عدة عمليات في بلدان عربية واوروبية صنفت بالارهابية نفذتها عناصر مرتبطة بتلك الحركات، إلى أن وقعت هجمات ١١ أيلول الارهابية التي كانت أعنف الهجمات الإرهابية التي شهدها العالم حديثاً، وهي انطلاقاً من الظروف التي أحاطت بوقوعها، وما حملته من خصائص، وما نجم عنها

---

١ معلومات، داعش.

٢ صقر أبو فخر، أسامة بن لادن ناتج منطقي للتنمّر الأميركي على شعوب العالم، نشرت في مجلة "النور"، العدد ١٢٦، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١.

٣ مجلة معلومات،(الحرب على القاعدة)،المركز العربي للمعلومات، العدد ١٠١، أبريل –نيسان، ٢٠١٢،ص ٢١.

4 John Esposito,***Unholy War Terror In The Name Of Islam***,Oxford University Press,2002,NewYork,. p17.

من إنعكاسات، شكَلت محطَةً مفصليةً في تاريخ العلاقات الدولية، ودفعت بالعالم الإسلامي إلى واجهة الصراع، لا سيما مع اطلاق الولايات المتحدة ما أسمته الحرب على الإرهاب[1] .

اندمج العديد من الحركات الإسلامية في إطار "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والنصارى"، التي أسسها أسامة بن لادن وأيمن الظواهري عام ١٩٩٨م وتلاقحت أفكارها المتطرفة في خلاصة البيان الذي صدر باسم هذه الجبهة في شباط/فبراير معلناً انطلاق شرارة الحرب الدينية و بدء المعركة الفاصلة بين "فسطاط الإسلام" الذي تمثله هذه الجماعـــات، و "فسطاط الكفر" الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية والدول المتحالفة معها والموالية لها , بحسب ما جاء في ذلك البيان.

بناءاً على فكر بسيد قطب شكلت "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والنصارى، "جهازاً خاصاً" مقاتلاً فكان تنظيم "القاعدة" الذي أعلن " مسؤوليته عن عديد من التفجيرات والاعتداءات التي استهدفت مصالح أميركية وغربية؛ وأبرزها كان وتفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م الإرهابية في واشنطن ونيويورك التي أدت إلى إطلاق الحرب على الإرهاب عام ٢٠٠١.

يعتبر كتاب "معالم في الطريق" أهم مصدر تبلور على أساسه التنظير التكفيري . قال فيه سيد قطب على نحو قاطع: "إن العالم يعيش اليوم كله في جاهلية، والإسلام لا يقبل أنصاف الحلول .. فإما إسلام وإما جاهلية، وليس هنالك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه الآخر جاهلية"[2].

نظَر سيد قطب للسلفية الجهادية، لكن مرحلة التحول إلى المشروع الميداني جاءت مع أسامة بن لادن خلال مواكبته عبد الله عزام الذي شكل ظاهرة "الأفغان العرب" والتي كانت أساساً هي ترويجه لفكرة إنشاء الخلافة الإسلامية.

في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٧٩ غادر أسامة السعودية إلى باكستان لتقييم الوضع. وهناك التقى القادة الأفغانيين برهان الدين رباني وعبد الرسول سياف اللذين كان قد تعرف إليهما أثناء الحج. وكان الاثنان بين سبعة من القادة الرئيسيين الذين أعلنوا الجهاد على السوفيات بدعم عسكري ولوجستي ومادي من ائتلاف دولي نظمته ورعته "سي أي ايه" ويتألف من الولايات المتحدة، وبريطانيا، والسعودية،

---

[1] راجع أطروحة دكتوراة بعنوان : **العالم الاسلامي ومتغيرات العلاقات الدولية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١**،إشراف د. عدنان السيد حسين ، إعداد علي شكر، الجامعة اللبنانية، (٢٠١٠)، ص ٥٣.

[2] أحمد الحبيشي، م.س.

وباكستان، والصين، وبلدان عدة أخرى. وكان رجال استخبارات وعسكريون ينشطون على الأرض في أفغانستان وباكستان المجاورة يمولون ويدربون الأفغان والعرب المتطوعين لقتال السوفيات.

والقادة الأفغانيون الخمسة الآخرون كانوا قلب الدين حكمتيار، ويونس خالص، ونبيه محمدي، وسيد أحمد جيلاني وصبغة الله مجددي. وقد التقى أسامة أيضاً أحمد شاه مسعود القائد العسكري المعروف والمقرب من رباني.

عندما وصل بن لادن إلى بيشاور كان هناك عشرات فقط من المجاهدين العرب في أفغانستان يستعدون لخوض الجهاد ضد السوفيات، وخلال أشهر قليلة وقع أسامة تحت تأثير الشيخ عبد الله عزام الأردني من أصل فلسطيني، وأحد الزعماء الإسلاميين البارزين في ذلك الوقت. وقد أثر عزام الذي ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين في الأردن في تفكير أسامة طوال السنوات العشر التالية. وإلى جانب أنه كان أستاذاً في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد، فقد لعب عزام دوراً رئيسياً في صياغة وتوضيح عقيدة الجهاد التي عبأت الأفغان والعرب المتطوعين لمحاربة السوفيات.

عام ١٩٧٩ انتقل عزام إلى باكستان. وبالتعاون مع بن لادن، أسس عزام مكتب الخدمات الأفغاني "ام أي كي" عام ١٩٨٤. وكان يعنى بصفة رئيسية بالمجاهدين الأجانب إلى جانب العرب، وقد لعبت المنظمة التي كانت تدار من قبل المجاهدين دوراً حاسماً في المقاومة ضد السوفيات. وبالإضافة إلى تجنيد وتدريب عشرات الآلاف من الشبان العرب والمسلمين من دول شتى من الولايات المتحدة إلى الفيليبين،.

عزام هو الذي وضع الخطوط العريضة، لما أصبحت عليه "القاعدة" وذلك خلال عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ وقد استكمل ميثاق تأسيسها على يده خلال تلك الفترة على اعتبار أنها "منظمة تتيح للمجاهدين القتال نيابة عن المسلمين المظلومين والمضطهدين في أرجاء الأرض، وبعبارة أخرى "قوة تفاعل سريعة" إسلامية، على استعداد أن تهب للدفاع عن أخوتهم المؤمنين عندما تستدعي الضرورة". ومع نهاية الحملة ضد السوفيات في أفغانستان قتل عزام سنة ١٩٨٩، وبعد رحيله تبنى أسامة دوراً راديكالياً تحت توجيه الدكتور المصري أيمن محمد الظواهري والذي ملأ بالتدريج الجانب الإيديولوجي بعد رحيل عزام. التقى بن لادن بالظواهري الظواهري للمرة الأولى سنة ١٩٨٦ في بيشاور. وبسبب تأثير الظواهري، فإن أسامة كان يميل إلى المنظمتين المصريتين "الجهاد" و"الجماعة الإسلامية"[١].

[١] روهان غوناراتنا، **من كتاب داخل القاعدة**،صحيفة "الرأي العام"، ٢٠٠٢/١١/١٩

لقد سئل عبد الله عزام: "كيف نعمل على فكرة صنع العالم الإسلامي وتحقيق الخلافة على وجه الأرض.. هل هذا ممكن.. أم أنه أحلام؟". فأجاب: "إقامة الخلافة في الأرض واجب شرعي على الأمة.. وإنما (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).. والله عز وجل جعل إقامة هذا الدين واجباً على أعناق البشر. فإذا عملوا بموجب الكتاب والسنة، وصلحت عقيدتهم للتوحيد، وأحسنوا عبادتهم، وعرفوا أعداءهم، واتضحت عندهم عقيدة الولاء والبراء فوالوا أولياء الله وعادوا أعداء الله، فهذا يمكن إن شاء الله ــ أي إقامة الخلافة ــ إذا اتفقوا أو قامت مجموعة من الناس وجاهدت على هذا التفكير الإسلامي الواضح.. فإن الله ينصرهم".

وأضاف: "الوصول إلى الخلافة طريقه هو الطريق الذي سلكه النبي صلي الله عليه وسلم، قيام رجل يدعو إلى الإصلاح على أساس من عقيدة صحيحة وفكر سليم يجمع الناس.. تواجههم الجاهلية.. تقوم هذه المعركة الكلامية بين هذه الجماعة وبين الجاهلية من حولها.. ثم مع الأيام يثبت من يثبت ويسقط من يسقط.. ثم تشعل هذه الجماعة الجهاد ضد أعداء الله، وتنتصر وتتقدم من موقع إلى موقع.. وتحتل مواقع الجاهلية موقعاً بعد موقع.. وينصرها الله، ويمكن لها في الأرض".

إن هذا السيناريو السياسي الديني الذي وضعه عبد الله عزام مستوحى من المراحل التاريخية التي مرت بها دعوة الإسلام بداية من النبي محمد . لكن أسامة بن لادن كان قد تبنى بالفعل توجه عزام بزخم كبير.

ومن هنا يتضح أن المنظر كان سيد قطب، والأب الروحي التنفيذي للفكر السلفي الجهادي التكفيري هو عزام الذي وضع مجموعة من الشروط المتنوعة لإقامة الخلافة الإسلامية،.. واشترط صلاحية العقيدة، وانكشاف الأولياء والأعداء، واتفاق جماعة من الناس على بداية الجهاد، ثم الدعوة للإصلاح.. وبعدها المعركة الكلامية، ثم القتال، لكن "الأفغان العرب" رأوا بعد ذلك أنهم قد حققوا كل الشروط، وأن عليهم الانطلاق من أفغانستان لإقامة الخلافة[١].فالفكر السلفي التكفيري انطلق مع جماعة الإخوان كمشروع سياسي، ومن ثم تحول مع تماذج المشروع الإخواني مع الفكر الوهابي إلى مشروع تكفيري جسده تنظيم القاعدة فكانت مرحلة انتشار ظاهرة التكفير السلفي الجهادي على مستوى العالم.

[١] عبدالله كمال،صحيفة "الشرق الأوسط"، ٢٠٠٦/٥/٦

فبعد تبلور الإطار الفكري خلال مراحل التاريخ الإسلامي، وبعد اطلاق مشروع إسلامي بديل لمرحلة الخلافة مع تجربة الإخوان وطرح أفكار سيد قطب بعد انتهاء الحكم العثماني خلال الحرب العالمية الإولى، جاء الاحتلال السوفياتي لأفغانستان(١٩٧٩) ليحول خلاله عبدالله عزام الإطار الفكري التنظيري إلى مشروع واقعي عبر تأسيسه وقيادته العرب المشاركين في " الجهاد" والذين عرفوا بظاهرة "الإفغان العرب".

ومع انتهاء الحرب مع السوفيات اثر انسحابهم من أفغانستان(١٩٨٩) انتشر "الجهاديون التكفيريون" في بلدانهم وخارجها وجمعهم تنظيم القاعدة الذي شارك في قيام الحكم "الإسلامي" في أفغانستان في ظل دولة طالبان أوائل تسعينيات القرن الماضي،والذي انتهى مع اطلاق الحرب على الإرهاب عام ٢٠٠١. انتهت دولة طالبان، غير أن تنظيم القاعدة عرف المزيد من الانتشار والتطور لتتولد عنه في العام ٢٠١٣ الدولة الإسلامية في العراق والشام كدولة خلافة كما أعلنها مؤسسوها.فما مدى انتشار الفكر التكفيري بعد مرحلة أفغانستان؟. وما هي انعكاساته؟.

فقرة ثانية : انتشار الفكر التكفيري وتبعاته

إن ازدياد التطرف العقائدي في العالم الإسلامي أدى إلى انتشار واسع لصورة الإسلام على أنه دين عنف وحرب[١] منذ العام ٢٠١٣ تحول التكفير الى ظاهرة مقلقة بسبب العنف الدموي والقتل الجماعي الذي تمارسه الجماعات التكفيرية المختلفة. وكانت الصحافة الغربية قد عملت بوضوح على ربط الإسلام بالعنف منذ انهيار الثنائية القطبية. لقد أدى نهوض الإسلام السياسي في شمال أفريقيا..وآسيا الوسطى..إلى اعتبار الإسلام قوة ضد الديمقراطية والعدو للولايات المتحدة"[٢]. وقد ذكرنا سابقاً أن التاريخ الاسلامي شهد اول جماعات التكفير مع ظاهرة "الخوارج"، الذين كانوا نموذجا" عن هذا الفكر التعصبي التكفيري الذي يكتفي بظاهر النص من دون اي معرفة عميقة بدلالاته. علما" بأن "الخوارج" كانوا كما

[١] أحمدالطيب، **مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطَرف والإرهاب**، (القاهرة، ٣-٤ ديسمبر ٢٠١٤)دار القدس العربي، ٢٠١٥،ص ٣٣٩-٣٤٠..

[٢] د. أحمد موصللي، **الغرب والولايات المتحدة والإسلام السياسي**، مرجع سابق، ص ١٤.

تذكر النصوص التاريخية من أكثر الناس حفظا" للقرآن وتمسكا" بتطبيق ما جاء فيه ،ولكن بحسب فهمهم الخاص والضيق للنص. وعندما اغتالوا الخليفة الرابع الامام علي بن أبي طالب اعتبروا ذلك تطبيقا" لشرع الله، لأن "الحكم هو لله" وليس للبشر.وهذا فهم قاصر وتأويل محدود وخاطئ للنص.. لكن مشكلة هذا التأويل انه عندما انتقل الى الفعل تحول الى جريمة بحق شخصية اسلامية عظيمة وبحق المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت. والأسوأ من ذلك ايضا" ان هذا الفعل أسس لنهج تبرير القتل والاغتيال في التعامل مع الاختلاف على قاعدة تفسير النص[1]. بعد ذلك تطور هذا الفكر مع العديد من الفقهاء والمفكرين المذكورين سابقاً.

أما إذا رصدنا تجربة الحركات الاسلامية الحديثة، فإنها تعود إلى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، عندما راحت البلدان الإسلامية مع الانتداب باتجاه نموذج الدولة الحديث القائم في الغرب، فتولدت الدول العربية التي نعرفها راهناً،في حين ذهبت تركيا نحو العلمانية المفرطة مبتعدة عن أي مظهر من مظاهر الدين لتنتج تجربة فريدة. في ظل هذا التطور نشأت جماعة الاخوان المسلمين[2] التي جسدت المشروع السياسي الإسلامي السلفي التكفيري في مرحلة ما بعد الدولة الإسلامية.

استمر المشروع الإخواني رائداً على مستوى المشروع الإسلامي البديل لمرحلة ما بعد الخلافة، غير أنه لم يكن قائماً على فكرة إقامة دولة الخلافة بمفهومها التقليدي، بل كان يهدف للحكم بظل مفهوم الدولة الحديثة انطلاقاً من الأسس الإسلامية. بقي الوضع كذلك إلى أن جاء احتلال السوفيات لافغانستان فكانت تلك المحطة التي حولت المشروع الإسلامي السلفي من سياسي سلفي إلى جهادي سلفي متأثراً بالفكر الوهابي.

تحول النمط الفكري " الجهادي" إلى تجربة واقعية ترجمت مع عبدالله عزام واسامة بن لادن فكان تنظيم القاعدة وما تفرع عنه وصولا إلى داعش. التي أعلنت دولة خلافتها على أراض في كل العراق وسوريا وعلى تخوم بلدان أخرى، بظل اعمال عنف وترهيب كان لها أثر كبير في توسع رقعة هذه الدولة وفي خلق حالة من اللاستقرار على الصعيد العالمي.

---

[1] مجلة الغدير، (التكفير تداعياته وسبل مواجهته)، مركز الدراسات والتوثيق، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، بيروت، العدد٦٨، خريف ٢٠١٥، المقدمة.

[2] الانتحاريون من الحشاشين إلى الداعشيين، مجلة معلومات، العدد ١٢٩، آب ٢٠١٤، ص ٣٠-٣١.

أسس أسامة بن لادن يتزعم تنظيم "القاعدة" قبل سنة من انسحاب السوفيات من أفغانستان. وشكلت حرب الخليج عام ١٩٩١ منعطفاً بالنسبة إليه وأراد الثأر من الولايات المتحدة بسبب الانتشار الكبير للجنود الأميركيين في شبه الجزيرة العربية. واعتباراً من ١٩٩٦ لجأ الى أفغانستان القاعدة الخلفية لتنظيمه. تحالف مع حركة "طالبان"، وأقام في أفغانستان معسكرات لتدريب كل الجهاديين[١].وفي أيار/مايو ١٩٩٨ أعلن بن لادن أنه شكل جبهة "لإعلان الجهاد على الصليبيين واليهود" وقتل الأميركيين.

بادر بن لادن إلى إطلاق جملة من النقاشات الداخلية في تنظيم "القاعدة" الأم، توازياً مع بعثه رسائل مناصحة لتنظيم "الدولة الإسلامية في العراق" تدعو قادته إلى تجنب قتل المدنيين والاقتتال مع سائر الفصائل، خصوصاً بعدما تحول الأخير من مواجهة البيئة الشيعية في البلاد إلى استهداف بيئة الجماعات السياسية والعسكرية السنية التي اختلف معها. وقد كان لرفض تنظيم "الدولة" مساواة نفسه بأقرانه على "الساحة الجهادية" دورٌ في اصطدامه بهذه الجماعات، حيث رأى في معظمها، حتى تلك التي حصرت

نشاطها بمقاومة الاحتلال، خطراً محتملاً على مشروعه الذي لا يحصره في إطار التعريف الضدي (أي ضد الاحتلال والطوائف الأخرى)، بل في إطار الفعل المؤسس (أي تأسيس "دولة إسلامية" على نمط "طالبان" أو حتى على يمينها).

وبعد انحسار نفوذ تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق" إثر اندلاع الحرب الأهلية العراقية بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٨، عاد زعيمه الجديد وقتها أبو بكر البغدادي ليؤكد ولاءه لزعيم تنظيم "القاعدة" أسامة بن لادن العام ٢٠١٠، وليؤسس انطلاقة ثانية لجماعته. ثم تمدد التنظيم داخل البيئة السورية مع انطلاق الحراك السوري وعسكرته تدريجياً، تحت ستار "جبهة النصرة" أولاً، قبل أن تنفضّ الأخيرة عنه وتظفر بدعم زعيم "القاعدة" الأم ووريث بن لادن، أيمن الظواهري[٢].

ويقول الدكتور رضوان السيد أن عبد الله عزام هو أول من استخدم مصطلح السلفية الجهادية ١٩٨٧ بغرض توحيد صفوف السلفيين العرب وغير العرب في أفغانستان على مشارف خروج الروس منها. بعد هذه الفترة اعتبرت ا ميركا والامم المتحدة أن بعض الدول العربية والاسلامية أوكار للارهاب، مثل العراق، افغانستان، اليمن، السودان ودول أخر، وطالبت بمحاربة هؤلاء الارهابيين العائدين إلى بلادهم

[١] صحيفة "الحياة"، ٢٠١١/٥/٣

[٢] ربيع بركات، صحيفة "السفير"، ٢٠١٤/٧/٢.

من افغانستان، فقويت شكوتهم خاصة بعد تفكيك العراق وضعف الدولة المركزية في العديد من الدول كاليمن والصومال وبدأوا يعودون قوة لا يستهان بها تدعو لمحاربة الأنظمة المتحالفة مع الغرب والشيطان الاكبر الاميركي.

في هذا الجو توحدت معظم الحركات السلفية الجهادية في العراق بانضمام ابو مصعب الزرقاوي إلى القاعدة في العراق، مع العلم أن هذا الاخير كان له مفهومه الخاص للسلفية والجهادية وحاول دائماً الاستقلال عن القاعدة خاصة وأنه كان يُسرف بالعنف والقتل، قتل الأسرى، تكفير الشيعة وضرب وتفجير مقارهم، ومهاجمة كل انصارهم، حتى أنه اصطدم بالصحوات السنية في العراق. تمركزت القاعدة في اليمن وليبيا والعراق وسوريا وأعلنت داعش دولة اسلامية في العراق وسوريا.

بناء على ما تقدم تبيّن لنا أن هناك جذور واسباب لصعود الحركات السلفية والمتطرفة منها ما هو عقائدي ايديولوجي يعود عبر التاريخ لبعض الأفكار الاسلامية المتطرفة، عن طريق مفكرين دعوا إلى العودة إلى السلف الصالح والتفسير الحرفي للسنة والقرآن حيث تم تأويل العديد من الآيات حسب مصالح هذه الحركات وظروف نشأتها. والاسباب الاخرى منها ما هو داخلي سياسي، واقتصادي واجتماعي، إلى جانب السبب الخارجي الرئيسي والمتمثل باحتلال الروس افغانستان عام ١٩٧٩.

تسارعت الاحداث في السنوات الاخيرة بشكل كبير، من الربيع العربي الذي اسقط أنظمة وكسر الركود الحاصل في المجتمعات العربية التي لا تزال تعيش مخاضاً صعباً لانجاح عملية التغيير.

تطورت الاحداث بشكل سلبي في كل من سوريا والعراق واليمن وليبيا، ودخلت داعش على خط العنف والدمار والارهاب وبدأت بتدمير حضارات وقتل أقليات وتهجيرها حتى وُصفت من قبل الامم المتحدة أنها عدوة الحضارة والانسانية. كل ذلك فرض تحديات جديدة على الدول العربية التي بقيت عاجزة عن فعل أي شيء كما جرت العادة مع جامعة الدول العربية منذ نشأتها ١٩٤٥ وبقيت التحديات والمخاطر تواجه الامة العربية المتروكة لمصيرها في ظل صراع المحاور الاقليمي والدولي...[١].

انطلاقاً من خاصية ظاهرة التكفير ذات البعد التعصبي يمكننا القول أن التعصب الديني هو الاشد والأكثر خطورة من بين كل العصبيات التي عرفها التاريخ.لأنه يسبغ على ما تقوم به الجماعة وحتى على

[١] عادل خليفة جذور وأسباب التطرف الاسلامي والسلفية الجهادية التحديات بين الداخل والخارج، مجلة الغدير – العدد ٦٨،م .س.

ما يقوم به كل فرد ينتمي اليها شرعية دينية ترمي من يخالفها بالكفر الذي يبيح القتل ويجعله في الوقت نفسه فعلا" مقدسا" يستحق من يقوم به الرفعة الدنيوية والاخروية... والخوارج في التاريخ الاسلامي كانوا ابرز نموذج على هذا الفكر التعصبي التكفيري في فهم النص بلا معرفة . هذا فهم قاصر وتأويل محدود وخاطئ للنص.. لكن مشكلة هذا التأويل انه عندما انتقل الى الفعل تحول الى جريمة وأسس لنهج تبرير القتل والاغتيال في التعامل مع الاختلاف على قاعدة تفسير النص. يجعل المتعصب الديني نفسه فوق المجتمع .فعلاقته هي مع النص المقدس مباشرة .

ومن هذا النص يستمد المتعصب الديني ما يفعله، وعلى المجتمع والناس ان يتكيفوا مع فهمه هو للنص.واذا لم يفعلوا ذلك او لم يتمكنوا منه تحولوا الى هدف للتكفير،أو للقتل ...والايمان بلا ثقافة هو وجه لما يسمى التعصب".. والتعصب هو نتاج انتقائية نصّية. فيأخذ المتعصب ما يريد من النص،من دون ان يلحظ البعد الكلي والشمولي للدين (الاسلام)"وهذا يستدعي الانتباه الى ما تلعبه العزلة الذهنية والمفاهيمية عن المنظومة الاسلامية ككل من دور سلبي في حصول الفجوة على مسار الفهم والتطبيق والمعالجة..." والتعصب الديني يذهب خلافا" للمنطق الذي يقول ان الدين في خدمة الانسان او ان الاجتهاد يهدف الى البحث عن الحكم والفتوى لكي يتعامل مع متغيرات الواقع.. التعصب الديني يشطب كل الاحتمالات، ولا يتمسك الا باحتمال واحد فقط هو الايمان كما يريده هو وكما يراه هو بلا اي معرفة وبلا اي ثقافة...أما ما عداه فكله كفر يستدعي المحاربة للقتل او الاخضاع..وبسبب هذا التعصب ومن اجله وحده خيضت الحروب عشرات السنين في الغرب.ومن اجله ايضا" يقتل الناس ويتقاتل المتعصبون في ما بينهم اليوم في بلداننا العربية والاسلامية.وعندما يصبح الايمان هو المعيار الاول والوحيد للتعامل مع الناس وفي ما بين الافراد،وشرطا" للحياة المشتركة، فهذا يعني دعوة الى الغاء كل التباينات وكل الفروقات الثقافية والاجتماعية وكل هوامش الاختلاف...اي الحكم على المجتمعات بعدم الاستقرار.

ولا بد من الإشارة إلى ان مصادر المعرفة الالكترونية واستخدام وسائط التواصل الحديثة بدلاً من أن يؤدي الى تجاوز الانتماءات المحلية والى تكوين ثقافة انسانية لا تحدها قبيلة او عشيرة او دين او حتى جغرافيا. استخدمت هذه الوسائط لنشر التعصب والدفاع عن العقيدة وتجنيد المقاتلين "في سبيل الله".

لقد اتاحت ما يعرف بوسائط التواصل الا جتماعي اليوم وسهولة استخدامها ترويج التعصب بأوسع اشكاله من دون أي رقيب اوحسيب.فما يكتب عبر هذه الوسائط يمكن ان يستخدم فيه كافة انواع التحريض. ويمكن من خلالها ان يفرغ الانسان كل ما يعتمل في داخله من افكار غير مقبولة اجتماعيا"

مثل الرغبة في القتل...وهذه التقنيات الحديثة باتت وسيلة فاعلة تجاوزت كل القيود والضوابط التي فرضت طوال عقود على حرية الرأي والتعبير لدى الافراد والجماعات السياسية والاسلامية والمختلفة في معظم الدول العربية.

ساهم صعود التيارات الاسلامية في العقود الثلاثة الماضية في الاهتمام بوسائط التواصل الالكتروني المختلفة، سواء من اجل نشر الدعوة ،أولمواجهة الاطراف الدينية الأخرى (الضالة) أو لتبيان الانشطة او العمليات التي يقوم بها "المجاهدون" والتي تتناقلها ايضا" مواقع الانترنت واليوتيوب. وكان للتحولات التي حصلت في داخل التيارات الاسلامية دور مهم في توسع دور القنوات الفضائية ووسائط التواصل الالكترونية وفي تعزيز بيئة التحريض الديني والمذهبي.

فلم يعد الانتماء الى أي تيار اسلامي يقتصر على الفقراء أو على سكان الارياف، ولم تعد سمة "التخلف"،أو "الجهل" أو "الأمية" تنطبق على المسلمين كما كان الأمر في السابق. لقد تغير هذا الواقع كثيرا". فقد التحقت بالتيارات الاسلامية اجيال جديدة من المتعلمين ومن المثقفين ومن الخبراء في الاختصاصات كافة ،وخصوصا" في مجال الاتصالات.

كانت وسائل الإعلام والاتصال أحد الدوات الأساسية التي استخدمها "الجهاديون"،خصوصا" في افغانستان (تنظيم القاعدة) وسائل الاعلام والاشرطة المسجلة،لبث اخبار وخطب زعيم تنظيم القاعدة اسامة بن لادن،كما استخدموا المواقع الالكترونية، لنشر اخبار عملياتهم ووسائل التحريض والدعوة. وفيما خص الدولة الإسلامية فإن استخدامها لهذه الوسائل كان أساسياً في مشروعها وقد عبرت عن مستويات عنف غير مسبوقة مسوقت صورتها الإرهابية من خلال بث مشاهد تحكمها الفظاعة والإجرام بهدف ترويع الناس وبسط سيطرتها على المزيد من المناطق.وقد نجحت في تحقيق ذلك الهدف إلى حد كبير.

تحولت الحركة السلفية باتجاهاتها المختلفة خصوصا" بعد "الثورات العربية"،الى فاعل مهم في العملية السياسية في مصر وفي تونس على سبيل المثال.وقد كان هذا الاتجاه بعيدا" طوال العقود الماضية عن الاعلام وعن الشؤون السياسية. لكنه بات بعد "الثورات" اكثر اهتماما" بهذين الامرين معا" الاعلام والسياسة.فلجأ السلفيون مثل سواهم من الاسلاميين الى الفضائيات للترويج لأفكارهم من جهة ،او للرد على الاتجاهات الاسلامية الأخرى. لعبت العوامل السابقة كلها ادوارا" متفاوته من حيث التأثير في تأسيس الفضائيات الدينية وفي نشر افكار التعصب والفتنة بلا اي ضوابط . بحيث بات الواقع الفضائي العربي امام "انفجار اعلامي".

جعلت القنوات الدينية جعلت من بعض رجال الدين المتشددين والمتعصبين ضيوفاً دائمين وهذا متغير جديد في الواقع الاجتماعي/الاعلامي العربي.كان قادة الاحزاب والتيارات السياسية هي التي تتصدى اعلاميا" لقيادة الثورات او حركات الاحتجاج. وكانت القيادات "المدنية" متعصبة سياسيا"،وهي التي تحرض على الانظمة "الفاسدة"،وتدعو الى التمرد عليها والاطاحة بها...لذا كان حضور رجال الدين في الفضائيات العربية،من موقع التحريض والدعوة الى الثورة والانقلاب على الحكم جديدا" في أدبيات الاسلاميين في البلدان العربية.لكن في الوقت نفسه كان لحضور رجال الدين في هذه الفضائيات خلفية دينية اومذهبية ،مهما كان حضوره السياسي طاغيا"،خصوصا" عندما انحاز بعض رجال الدين الى قضايا طائفية او مذهبية في خطبهم أوفي لقاءاتهم ومقابلاتهم. وقد تحولت وللأسف معظم هذه القنوات الى مصدر يدعو الى العنف او يحرض على الفتنة.

لم تكن ظاهرة التعصب الديني حديثة وطارئة على المجتمعات العربية والإسلامية، لكن تلازمها مع التكفير توسع منذ بضع سنوات.

هذا الاتجاه التعصبي التكفيري "لنشر العقيدة ومحاربة البدع" أو "لتأسيس الامارة الاسلامية" صار عاملاً مؤججاً لعدم الإستقرار في البلدان الاسلامية وعلى مستوى العالم، وقد شهدت بعض الدول العربية والاسلامية في السنتين الماضيتين حالات غريبة ومخيفة من العنف الانتقامي ضد اشخاص او مجموعات على خلفية مذهبية وطائفية.

شكل الاتجاه السلفي التكفيري "الجهادي" الذي أنتج الدولة الإسلاية نموذجا" جذابا" للشباب الاسلامي بعد الاحتلال الاميركي لافغانستان والعراق،وبعد التهمة التي وجهت الى تنظيم القاعدة بتفجيرات ١١/سبتمبر ٢٠٠١ .وبعدما جعلت السياسات الأميركية –الغربية هذا التنظيم العدو الأخطر على أمنها وأمن العالم.

لقد دمج هذا الاتجاه بين الجهاد وبين سلفيته التكفيريه.لذا اعتقد من التحق به من الشباب ان الامرين متلازمين، بحيث تحول معظم "الجهاديين" في افغانستان ثم في العراق الى تكفيريين في الوقت نفسه يقومون بعمليات قتل وتفجير بين الناس لأهداف مذهبية ودينية تحت راية الجهاد والتقرب الى الله والى رسوله!!! وقد شكلت الانجازات التي حققها هذا التنظيم خصوصا" في افغانستان بعد طرد القوات السوفياتية،وما اعقبها من عمليات ضد بعض المؤسسات الغربية والاميركية حافزا" مهما" للكثيرين للانتقام من السياسات الاميركية من جهة ،ولتقدير ما يقوم به هذا التنظيم من جهة ثانية.بحيث بات من

المستحيل الفصل بين هذه الانجازات وبين الاتجاه التكفيري لكثيرين ممن التحقوا بفكر القاعدة وما تفرع عنها من جبهات ومجموعات تقاتل في اكثر من مكان بدوافع مذهبية وتكفيرية.

في أول تعليق لأسامه بن لادن على هجمات ١١أيلول والذي جاء في ٧ تشرين الأول/أكتوبر عام ٢٠٠١ أي بعد مرور أقل من شهر على وقوع التفجيرات وقال بن لادن في كلمة له "إن هذه الأحداث قسمت العالم إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر أعاذنا الله وإياكم منه"[1]. وبهذا يكون أعلن تكفير كل من ليس في معسكره.

لا يمكن ان ننسى ان التعليم الديني هو اهم مصدر من مصادر التعصب. كانت مؤسسات التعليم الديني الكبرى في العالم الاسلامي مثل الازهر والزيتونة والقيروان مراكز لبث المعرفة الدينية و لثقافة التعرف على المذاهب الاخرى، حتى ان الازهر نفسه في مصر كان خلف مشروع التقريب بين المذاهب، واصدر مجلة حملت الاسم نفسه شارك فيها وفي مشروع الدعوة الى التقريب علماء من السنة ومن الشيعة وبات المذهب الامامي الجعفري من المذاهب التي تدرس في الازهر الشريف في مصر..لكن المشكلة ان ذلك كله قد تبدل. فتراجع دور الازهر، واخترق السلفيون مؤسساته وجامعته ومناهج التدريس فيه. وهذه العملية حصلت بشكل متدرج في العقود الخمسة الماضية بعدما انتقل الكثيرون من مصر الى المملكة السعودية للعمل وللتدريس هناك، وتأثروا بالسلفية الوهابية التكفيرية التي حملوها معهم الى الجامع الازهر.

ثمة مصادر اخرى تغذي هذا التعليم وتتكامل معه. من المسجد الى البيت الى الفضائيات التي لا تكف عن بث "الفتاوى" طوال الليل والنهار. ثمة مشكلة معقدة هنا لايمكن التقليل من اهميتها ومن صعوبتها. إذ كيف يمكن السيطرة على كل هذه المصادر للحد من التكفير والتعصب؟ خصوصا" وأن التكفير لم يعد يقتصر على أفكار او على نظريات او على فتاوى قيلت او صدرت قبل مئات السنين، ولم نعد امام سلفية دعوية سلمية تريد اسلمة المجتمع من القاعدة حتى لو احتاج الامر عشرات السنين. بل اصبحنا امام سلفية متعصبة وتكفيرية تريد اسلمة المجتمع وتأسيس الامارة الاسلامية بحد السيف.

[1] ***Message To The world- The Statemant Of Osama Bin Ldin*** - , Verso,UK, USA,2005p 105.

ما يزيد من صعوبة المشكلة ان التعصب الديني اليوم يتغذى من الواقع السياسي،ويخضع في الوقت نفسه للمصالح السياسية لهذ البلد او ذاك. بحيث لا يمكن قراءة ظاهرة التعصب الديني المعاصرة بمعزل عن الصراع السياسي باشكاله وتحالفاته المختلفة الاقليمية والدولية..وما جرى في افغانستان من دعم دولي غربي واقليمي من بعض الدول الاسلامية "للمجاهدين" المتشددين من حركة "طالبان" لقتال السوفيات "الكفار" دليل واضح على هذا الاستخدام السياسي للتعصب الديني... وما يجري في سوريا اليوم هو تكرار لهذا التوظيف للتعصب الديني من اجل اهداف سياسية، فظاهرة التعصب ليست نتاج عامل واحد فقط اجتماعي او نفسي او ثقافي..بل هي نتاج ذلك كله[1].

لم تتمكن الكيانات التي انسلخت عن الدولة الإسلامية من بناء مجتمعات قائمة على المواطنة، بل بقيت محكومة بذهنية العائلية، والطائفية، والعشائرية في الغالب، كما أن القضية الفلسطينية والحرب مع إسرائيل شكلت الهواجس التي تطورت في ظلها أنظمة الدول الإسلامية، ولا سيما العربية منها. ومع الفشل في إقامة دولة القانون، والخسارة في حرب العام ١٩٦٧ مع إسرائيل، بدأ التحول في المجتمعات الإسلامية والاتجاه نحو تبلور حركات سياسية على أساس ديني. وإذا كانت بعض البلدان شهدت ظهوراً لتلك الحركات في مراحل مبكرة سبقت نشوء الدولة الحديثة، غير أن الصحوة الإسلامية عموماً برزت بشكل جلي خلال مرحلة ما بعد العام ١٩٦٧"في أواخر السيتينيات وأوائل السبعينيات بينما كانت الاتجاهات القومية العربية اليسارية تضعف، بدأت الاتجاهات الأصولية في الانتشار..."[2].

[1] طلال عتريسي الأبعاد الاجتماعية لظاهرة التكفير، مجلة الغدير العدد ٦٨، م. س.

[2] د. أحمد الموصلي، **موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٤١.

المبحث الثاني: مشاريع الفكر التكفيري الدولة الإسلامية نموذجاً

ذكرنا سابقاً الأسس الفكرية للتكفير، وسننتقل في هذا المبحث لدراسة المشاريع التكفيرية التي انتقلت من الحيز الفكري إلى بناء المشروع. تتمثل هذه المشاريع بتجربتي طالبان والقاعدة في أفغانستان،التي مهدت لتجربة الدولة الإسلامية (داعش). ونحن إذ سيتمحور بحثنا حول التجربة الأخيرة، غير أنه لا بد من أن نوضح أن تجربة طالبان كانت كناية عن وراثة دولة كانت قائمة بالأساس وهي الدولة الأفغانية، تمكنت حركة طالبان من السيطرة عسكرياً على البلاد واستلام السلطة فيها منتصف تسعينات القرن العشرين . وهي عملت من خلال مؤسسات الدولة التي كانت موجودة ولم يتحرك المجتمع الدولي عبر حملة عسكرية للقضاء عليها عند قيامها إلى أن وقعت هجمات ١١ أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١.

في حين نجد تجربة (داعش) تختلف كون الدولة التي أعلنت عن قيامها كانت على أجزاء من أراض لدولتي العراق وسوريا سيطرت عليها، وهذه الأراضي أصبحت خارج سلطة النظام السياسي في البلدين، وخلقت هيكلاً خاصاً بدولتها وأوجدت لها مؤسساتها وهيكليتها التي تختلف عن مؤسسات الدولة القائمة

على صعيد المجتمع الدولي، وقد أعلنت الحرب عل هذه الدولة بعد وقت قليل على قيامها بغض النظر عن الأسباب الدافعة لمحاربتها التي سنتطرق إليها لاحقاً.

وقبل البحث في طبيعة مشروع الدولة وظروف قيامها، لا بد من الإشارة إلى دور العصبية في مشروع داعش، فهذا المشروع بني على عصبيات كان أبرزها العصبية الدينية والعرقية.

عرقياً يرى أبن خلدون أن العرب أكثر بداوةً من سائر الأمم، واعتادوا الشظف وخشونة العيش... وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعاً بالقهر ويقول تحت عنوان(في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب): والسبب في ذلك انهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش واسبابه فصار لهم خلقاً وجبلة.ومن ثم يعتبر أن العصبية الدينية تمكن من انقيادهم فيقول:إذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماهم.ويرى أن العصبية تكون بالحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه. فالملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية[1].عندما نرصد طبيعة عمل تنظيم داعش والصورة التي تمظهر من خلالها مشروع دولته، فإننا نرى الطبيعة العصبية –المتوحشة التي انبثقت عن ذلك المشروع والتي تم تسويق دولة الخلافة من خلالها، وقد استخدم في ذلك التسويق وسائل الاتصال الحديثة التي ذكرناها سابقاً.

أعلنت دولة (داعش) "دولة خلافة إسلامية"، وفرضت أنظمتها انطلاقاً من رؤيتها العقائدية ، ومن الأسس النظرية التي نشأ عليها التنظيم المتمثلة بالسلفية التكفيرية الجهادية والقائمة على تكفير الآخر أياً كان مسلما وغير مسلم. وفرضت نموذجها من خلال وسائل الاتصال الحديثة مستندة إلى دعاية ترهيبية سوقتها عبر هذه الوسائل . وهذا الأمر ساعد على توسع رقعة انتشارها بشكل سريع بظل جدل عالمي واسع حول هذا النموذج العنفي الدموي الذي لا يعرف حدوداً أخلاقية أو دينية أو إنسانية.

أعلن أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين من قبل مجلس شورى «الدولة الإسلامية» ، ولم يقدم أي خطة لمشروع دولته بل عمل على الدعوة إلى الهجرة والقتال.وحدد وجهة دولته قائلاً: «أننا اليوم في زمان جديد» فيه للمسلمين كلمة عالية مدوية تسمع العالم وتفهمه «معنى الإرهاب» مؤكداً أن العالم مكون من

[1] راجع عبد الرحمن إبن خلدون، **العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**(المقدمة) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٨ ٢٠٠٣، من ص ١١٤ إلى ص ١٢٤.

فسطاطين اثنين: فسطاط إسلام وإيمان وفسطاط كفر ونفاق.ودعا البغدادي المسلمين إلى الهجرة إلى ما أسماها «دولتهم»[1].

فقرة أولى: ظروف قيام مشروع الدولة الاسلامية (دولة داعش)

تعتبر الدولة التنظيم السياسي الأمثل حتى الآن وهي لا تظهر إلى حيز الوجود الفعلي إلا بتوافر ثلاثة أركان مجتمعة هي الإقليم والشعب والسلطة السياسية. اما وجودها على الصعيد الخارجي والمتثل بانضماها إلى المجمع الدولي فيستلزم الاعتراف بها من جانب أعضاء هذا المجتمع[2]. وفي إطار تطور العلاقات الدولية خلال العقد الحالي ظهر نموذج الدولة الإسلامية ضمن مسار تطور الفكر التكفيري وتحوله إلى مشروع ، ولم يقتصر هذا التحول على انتقال التكفير من الاطار الفكري إلى الإطار الميداني عبر دور مجموعات تكفيرية كما كان يحصل سابقاً، بل تبلور في مشروع دولة تكفيرية هي " الدولة الإسلامية" . لكن إعلان الدولة الذي تم لا يعني أنها صارت جزءاً من المجتمع الدولي وأصبحت دولة

[1] عبد الله سليمان علي،صحيفة "السفير"، ٢٠١٤/٧/٢.

[2] محمد كامل عبيد، **نظرية الدولة**، بدون ناشر، بدون مكان، ١٩٩٤، ص ٣٦.

بالمعنى الفعلي، إلا أنها انتجت نموذجاً لا تزال التطورات التي تطرأ عليه لجهة طبيعة المشروع، ومكوناته الجغرافية ،والبشرية، والتنظيمية . ومحاولة القضاء عليه من قبل أعضاء في المجتمع الدولي هي التي ستحدد أفاق مستقبله.

ولدراسة أساس هذا النموذج ينبغي علينا العودة إلى ما انتجه تفكك الاتحاد السوفييتي من فراغ في المشهد الدولي، سعت واشنطن إلى ملئه بأساليبها ووفق مصالحها. فشكلت تجربة حركة طالبان في أفغانستان مثالاً لكيفية انتقال التكفير من التنظير إلى المشروع، في ظل قيادة أميركا للنظام العالمي ومن ثم جاء احتلال أميركا لأفغانستان ثم العراق في إطار حربها على الإرهاب ليكون أحد تبعاته قيام الدولة الإسلامية في العراق وسوريا .

أدى الغزو السوفييتي لأفغانستان إلى ولادة حركة إسلامية مناهضة تشكلت في ظلها السلفية الجهادية ميدانياً. وقد مهدت لولادتها فترة حكم ميخائيل غورباتشوف . فخلال تلك المرحلة ظهرت صحوة بنيت معها آلاف المساجد، خصوصاً وقد صعد التطرف الديني بتأثير عوامل داخلية وخارجية.

كان الفاعل الأساسي في ولادة السلفية الجهادية هو المدارس الدينية المجانية التي تقوم على التبرعات، والتي تعتنق الفكر الوهابي السلفي وتطور دورها الأفغاني مع "طالبان" التي تخرج قادتهم منها.

"على هذه الخلفية نشأ دور بن لادن الذي كان له إسهام كبير تشجيع انخراط المسلمين غير الأفغان في الجهاد الأفغاني.وبتوسيع أبعاد المواجهة، غدا ما لا يقل عن ١٠٠ ألف مسلم راديكالي غير أفغاني على تماس بالجهاد، إما كمقاتلين أو كطلبة في مدارس باكستان"[١١].

[١١] من هم "طالبان"، وكيف انحازت آسيا الوسطى إلى ما يمثلونه؟ حازم صاغية،صحيفة "الحياة"، ٢٠٠٢/٩/٩.

أولاً: تجربة طالبان والقاعدة وأثرها في قيام الدولة

لا يمكن دراسة تجربة الدولة الإسلامية بعيداً عن تجربة حركة طالبان وتنظيم القاعدة، ذلك أن طالبان خاضت تجربة الحكم الإسلامي وبالتالي شكلت التجربة السابقة لتجربة الدولة، وتنظيم القاعدة هو الذي أنتج تنظيم الدولة الاسلامية في العراق الذي أقام حكم الخلافة. وبالتالي فمشروع الدولة الاسلامية ليس منفصلاً عنهما، بل هو أمتداد لهما.

١-تجربة حكم طالبان:

تعود جذور نشأة حركة طالبان إلى الظروف التي نجمت عن الغزو السوفياتي لأفغانستان، لكن مشروعها الفعلي من الجهاد إلى بناء السلطة حصل في العام ١٩٩٤، فبعد أن تهيأت لها الظروف في العام ١٩٩٤ من قبل جماعة من "المجاهدين" المسيطرين على الأرياف في أفغانستان، لتشكل السبب المباشر في نشوء حركة "طالبان"، إذ إنها التي دفعت الملا محمد عمر (كان قائد سابق لجماعة مسلمة معادية للجيش السوفياتي) للتحرك لوضع حد لممارسات المجاهدين، بعد أن كان التزم منزله لعدم رضاه عن ممارساتهم في أفغانستان، فكان ان أسس جماعة مسلحة عرفت ب"حركة طالبان" .

بعد نحو سنتين ونصف، أصبح محمد عمر المسيطر الأكبر على معظم مناطق أفغانستان. وصار يعرف من قبل جماعته "بأمير المؤمنين"، ويقود حركة "طالبان".خلال سنتين من سعي الحركة للوصول إلى الحكم، بقيت الولايات المتحدة على الحياد و لم تتدخل لوقف الدعم الذي تقدمه باكستان والسعودية لطالبان. بالنتيجة تمكنت طالبان من السيطرة على الحكم في أفغانستان[1].

٢- تحالف طالبان والقاعدة:

خلال شهر من الغزو السوفياتي لأفغانستان ويوم ٢٦ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٧٩ غادر أسامة السعودية إلى باكستان. وهناك التقى القادة الأفغانيين برهان الدين رباني وعبد الرسول سياف اللذين كان قد تعرف إليهما أثناء الحج والقادة الأفغانيون الخمسة الآخرون كانوا قلب الدين حكمتيار، ويونس خالص، ونبيه محمدي، وسيد أحمد جيلاني وصبغة الله مجددي. وكان الاثنان بين سبعة من القادة الرئيسيين الذين أعلنوا الجهاد على السوفيات بدعم عسكري

وخلال أشهر قليلة وقع أسامة تحت تأثير الشيخ عبد الله عزام الأردني كما ذكرنا في المبحث السابق. ولعب عزام دوراً رئيسياً في صياغة وتوضيح عقيدة الجهاد التي عبأت الأفغان والعرب المتطوعين لمحاربة السوفيات.وبالتعاون مع بن لادن، أسس عزام مكتب الخدمات الأفغاني "ام أي كي" عام ١٩٨٤. وكان يعنى بصفة رئيسية بالمجاهدين الأجانب إلى جانب العرب، وقد لعبت المنظمة التي كانت تدار من قبل المجاهدين دوراً حاسماً في المقاومة ضد السوفيات. وبالإضافة إلى تجنيد وتدريب عشرات الآلاف من الشبان العرب والمسلمين من دول شتى من الولايات المتحدة إلى الفيليبين، فإن "ام أي كي" كانت تشرف على ملايين الدولارات من المساعدات التي تتلقاها للجهاد في أفغانستان. وقد أسهم بن لادن بقسط كبير من التمويل.

روج عزام لفكرة الجهاد على الحدود بين باكستان – أفغانستان. وقد أثرت كتاباته حول البعد السياسي للإسلام على حركات إسلامية أخرى . وفي الوقت نفسه فإن هدف أسامة في إعادة الخلافة أو توحيد العالم

[1] صحيفة "الديار"، عن هيرالد تريبيون، ترجمة رولا غنطوس، ١٩٩٧/١/٧.

الإسلامي في كيان واحد وجد صدى لدى " المجاهدين العرب". وعلى المستوى السياسي فإن بن لادن وجماعات المجاهدين التي يسيطر عليها المصريون رغبوا في إقامة دول إسلامية.

عزام هو الذي وضع الخطوط العريضة، "للقاعدة" وذلك خلال عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ وقد استكمل ميثاق تأسيسها على يده خلال تلك الفترة[١]. وبالتالي يكون تنظيم القاعدة بدأ بالتشكل فعلياً عام ١٩٨٨ قبل سنة من انسحاب السوفيات من أفغانستان..[٢].

ترك الانسحاب السوفياتي في أوائل العام ١٩٨٩، أفغانستان بلداً تنتشر فيه النزاعات بين المذاهب والقبائل والولايات التي تتقاسم البلاد. في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤، حاصر الطلبة مدينة قندهار، سقطت المدينة بعدها في أيدي المحاصرين. وتوافد طلبة مدارس جمعية العلماء المسلمين ("إسلامي") بباكستان. وفي آذار/مارس ١٩٩٥، كان نحو عشرين ألف طالب من طلبة مدارس حزام الهجرة الأفغانية إلى باكستان (بين بيشاور وكويتا) انخرطوا في الحركة، وتركوا المدارس والمخيمات[٣].

في العام ١٩٩٦ انتقل بن لادن إلى أفغانستان، وأصدر فتوى يعلن فيها الجهاد على التواجد الأميركي في دول الخليج، تحت حماية حكومة الطالبان[٤].

ومن ثم شهد العام١٩٩٧ والعام ١٩٩٨ تبلور الحلف بين "طالبان" وبن لادن و نصب الملا محمد عمر، "أمير" الطلبة"، بن لادن مرجعاً أعلى و"أميراً" على غير الأفغان الذين عرفوا ب "الأفغان العرب". على هذا النحو سيطرة طالبان ومعها بن لادن والقاعدة على أفغانستان وقامت دولتها. تلك الدولة التي كانت بعد وقوع هجمات ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ أول هدف للولايات المتحدة في سياق الحرب العالمية التي اعلنتها على الإرهاب.

يمكن تقسيم البناء "الجماهيري" لحركة "طالبان" إلى خمسة أقسام رئيسة هي:

---

[١] صحيفة "الرأي العام"، ٢٠٠٢/١١/١٩.
[٢] صحيفة "الحياة"، ٢٠١١/٥/٣.

[٣] صحيفة، "الحياة"، ٢٠٠٢/١/١١
[٤] أحمد الموصللي، صحيفة "المستقبل"، ٢٠٠١/٣/١٥.

- حلقة القيادة في الحركة التي تمثلت أساساً بلجنة الشورى.
- الحلقة الأوسع في القيادة .
- مجموعة المقاتلين الـــ "طالبانيين" الذين قاتلوا دفاعاً عن حكم الحركة.
- وجهاء البشتون ورؤساء العشائر الذين أيدوا حركة "طالبان" باعتبارها الفصيل البشتوني الذي يجلس في مقاعد السلطة في كابول.
- وأخيراً الكوادر التي سيرت العمل في العاصمة الأفغانية[١].

ثانياً: انتهاء تجربة طالبان/ القاعدة في السلطة

تمكنت طالبان من حكم أفغانستان منذ العام ١٩٩٦، وفرضت نموذج حكم ديني على رغم الإعلان عن عدم الرضى عن تجربتها على المستوى الدولي، لكن لم يتحرك المجتمع الدولي والتنظيم الدولي بشكل فعلي لمواجهة هذه التجربة، واستمر الحال إلى أن وقعت هجمات ١١ أيلول انهارت سلطة حركة طالبان عام (٢٠٠١)[٢]. وبذلك انتهت تجربة حكم طالبان / القاعدة في أفغانستان بمعنى الخروج من السلطة، لكن عملياً بعد مرور نحو ٨ سنوات على انهاء الحكومة الإسلامية عادت طالبان ومعها القاعدة لتسيطر على ما يقارب ٨٠ بالمئة من الأراضي الأفغانية، وذلك وفقاً لخريطة صدرت عن معهد "المجلس الدولي حول الأمن والتنمية" الذي يتخذ من لندن مقراً له[٣]. وبعد الانسحاب الأميركي من أفغانستان في العام ٢٠١٣ لا تزال للحركة فاعلية.

بعد سنوات على الحرب الأمريكية على أفغانستان التي أدَت إلى إسقاط نظام حركة "طالبان" ، ويمكن القول إن الغزوة الأميركية – الأطلسية لأفغانستان أخفقت في تحقيق ما رامته من أهداف منذ انطلاقتها،

---

[١] مصطفى اللباد، صحيفة "الحياة"، ٢٠٠٢/٤/٥.

٢ صحيفة"السفير"، ٢٠٠١/١١/١٤

٣ عن "المجلس الدولي حول الأمن والتنمية"،صحيفة "السفير "،٢٠٠٩/٩/١٧

وأهم أهدافها المعلنة التصفية المادية الكاملة لحركة "طالبان" وتوليد نظام سياسي موال وتابع، والإمساك الأمني التام للبلاد من طرف القوات الأطلسي[١].

بعد سقوط نظام طالبان، أعلن تنظيم "القاعدة" تولي أيمن الظواهري قيادته خلفاً لأسامة بن لادن الذي قتل في عملية أميركية داخل باكستان (أيار ٢٠١١) وتعهد استمرار "الجهاد" ضد الغرب وإسرائيل، داعياً الشعوب العربية المنتفضة إلى حكم الشريعة الإسلامية.

وتعهد "الدعوة للدين الحق، وتحريض أمتنا على الإعداد والقتال مع أدائنا العلمي للفريضة العينية في جهاد الغزاة الكفار المعتدين على ديار الإسلام". وذكر أن على رأس هؤلاء "أمريكا الصليبية وربيبتها إسرائيل ومن أعانهم من الحكام المبدلين لشريعة الإسلام"..[٢].

راهناً، يبيَن الواقع الأفغاني أن واشنطن تمكنت من إقامة نظام سياسي موال وتابع، ولكنَها لم تتمكن من التصفية المادية الكاملة لحركة "طالبان"، والإمساك الأمني التام للبلاد من طرف القوات الأطلسي. لقد تعدّدت جبهات الحرب على الإرهاب، غير أن الحملة العسكرية التي جندتها الولايات المتحدة وقادتها بمشاركة مجموعة من الدول على بلدين من بلدان العالم الإسلامي تركت آثاراً مباشرةً في الأمن الدولي، والإسلامي، بطبيعة الحال، وبخاصة مع النظر إلى أن الأمن الذي أضحى معناه ومجالاته أوسع مع قيام منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥[٣]. غير أن الحملة العسكرية لم تؤد إلى القضاء على حركة طالبان وتنظيم القاعدة. بل شهد تنظيم القاعدة، تطوراً لجهة توسيع رقعة نشاطه خاصة بعد مقتل زعيمه أسامه بن لادن، كما وأن التنظيم شهد تفريعات كان من أبرز تداعياتها قيام "الدولة الإسلامية" على يد تنظيم داعش المنبثق عن تنظيم القاعدة بعد مرور نحو ١٣ عاماً على إطلاق الحرب على الارهاب في العام ٢٠٠١. وبمعنى أدق أنه خلال تصويب واشنطن وجهة الصراع الدولي نحو العالم الإسلامي، كانت حركة "طالبان" قد أخضعت أفغانستان لحكمها الذي يقوم على أساس ديني، مدعية أن ذلك الحكم ينطلق من الدين

---

١ عبد الاله بلقزيز، صحيفة"الخليج"، ٢٠٠٨/١١/٢٤

٢ صحيفة"النهار"، ٢٠١١/٦/١٧.

3 Ivo H. Daalder, ***Beyond Preemption. Force And Legitimacy In a Changing World,*** The Bookings Institution, Washington, 2007, P 146.

الإسلامي."... وبين عامي ١٩٧٨ و ١٩٩٢ لقي أكثر من مليون شخص، أو ١٠ بالمئة من السكان حتفهم. ونزح نحو الثلث ليكونوا لاجئين. ولم تؤد نهاية الحرب الباردة إلى إحلال السلام: عندما سقط النظام الشيوعي في كابول في نيسان/أبريل ١٩٩٢، وبعد ثلاث سنوات على انسحاب القوات السوفياتية في ١٩٨٩ اندلعت جولة جديدة من القتال بين الفصائل الإسلامية والإثنية المتنازعة..وإذ تلاشى اهتمام الولايات المتحدة بعد عام ١٩٩٢... وفي صيف ١٩٩٤ قام لاعب جديد يطمح إلى السلطة هو حركة "طالبان".. . جاء استيلاء مقاتلي "طالبان" على العاصمة الأفغانية كابول عام ١٩٩٦ ..بأفدح الأشكال

ضرراً منذ سنوات طويلة..."[١] ، ومن المفارقة أنه على الرغم من تطور الأوضاع في أفغانستان على النحو الذي سبق ذكره، لم تدرج الولايات المتحدة أفغانستان كدولة على لائحة الإرهاب التي كانت دأبت وزارة الخارجية على إصدرها. كانت هذه اللائحة تصدر ربيع كل عام، وهي تضم إيران والعراق وسوريا، وليبيا، والسودان، وكوبا، وكوريا الشمالية. ويعني إدراجها على اللائحة تطبيق الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية عليها، وبمعنى أدق أنها مستهدفة من الولايات المتحدة.

في محصلة الحرب الأولى على الإرهاب نجد أن نتائج الحملة العسكرية التي شنت على أفغانستان لم تحقق أياً من نتائجها المرجوة، ذلك أن البلد عاد ليخضع لنفوذ وسيطرة حركة "طالبان"، فالهجمات على برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك، ومقر وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) في واشنطن، ربما لن تكون الأخيرة..."[٢].

الأمن لم يتحقق، بل توسع التهديد إلى باكستان التي أضحت تحت دائرة خطر نفوذ "طالبان". وتسعى الإدارة الأميركية الحالية إلى البحث عن استراتيجية تتلاءم مع الأوضاع القائمة في تلك المنطقة ما يظهر فشلها، وعدم التمكن من خلال مختلف الاستراتيجيات التي وضعتها من تحقيق أي إنجازات فعلية، إلى أن وصل بها الحال مؤخراً إلى السعي لمنع "طالبان" من العودة إلى الحكم بعد أن كانت أهدافها تتمثل بالقضاء على تلك الحركة.

---

[١] فريد هاليداي، **ساعتان هزتا العالم ، ١١ أيلول/سبتمبر الأسباب والنتائج**، ترجمة عبد الله النعيمي ، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ص ١٦٣ – ١٦٤.

[٢] محمد صلاح، **وقائع سنوات الجهاد، رحلة الأفغان العرب**، خلود للنشر، د.ت.،٢٠٠٢، ص ١٥.

"أطيح بنظام "طالبان"، ولكن دور الولايات المتحدة والتحالف في إزاحة هذا النظام بالقوة أرسى سابقة خطيرة، إذ قال رامسفيلد أن الدول التي تدعم مجموعات إرهابية أو المتورطة مع مجموعات إرهابية محظورة ستصبح هدفاً مشروعاً لتدخل عسكري بقيادة الولايات المتحدة، ويصبح الإطاحة بحكومة الدولة أو استبدال نظامها خاضعين للتفاوض. لقد منحت الولايات المتحدة نفسها سلطة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى..."[1] .

وبذلك تكون أفغانستان قد شكلت أولى تجارب قيام دولة إسلامية فعلية حيث سيطرت حركة طالبان وتنظيم القاعدة على البلد وحكموها من خلال مؤسسات الدولة القائمة مستخدمين الإطار الديني وفق رؤيتهم في الحكم، وبذلك تكون التجربة مزيجاً بين نموذج الدولة بمفهومها الحديث والإطار الديني الإسلامي، وقد انتهت هذه التجربة من خلال الحروب العسكرية التي تم خوضها في سياق الحرب على الإرهاب، فكانت هدف أول حروب القرن الواحد والعشرين.

تمخض عن تجربة حكم طالبان / القاعدة في أفغانستان مجموعة من الخصائص، من بينها استهداف الولايات المتحدة للعالم الإسلامي بشكل مباشر وعلني في ظل غياب المفاهيم الواضحة والمحددة، وهو ما أعطى واشنطن هامشاً واسعاً من الاستنسابية، استفادت منه في ظل سيطرة المتشددين على السلطة.ومن هنايمكننا فهم كيف سارت متغيرات العلاقات الدولية وأثرت وتأثرت بواقع حراك العالم الإسلامي ومكوناته وعلى رأسه الجماعات السلفية الجهادية التكفيرية التي صارت هي المحرك لتفاعل العالم الإسلامي في ميدان العلاقات الدولية على مستوى كونها تنظيمات تطرفة من جهة، وعلى مستوى إقامة دولة إسلامية مع اختلاف النماذج(طالبان / القاعدة في أفغانستان، وداعش في العراق وسوريا) من جهة أخرى .

[1] فل سكراتون، **باسم (حرب عادلة)، ما وراء ١١ أيلول: مختارات من المعارضة**، تحرير فل سكراتون، تعريب د.ابراهيم يحيى الشهابي، شركة الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤١٦-٤١٧.

فقرة ثانية: تجربة الدولة الإسلامية

شكلت تجربة الدولة الإسلامية"داعش" نموذجاً دفع باتجاه تجنيد طاقات محلية واقليمة وعالمية لمواجهته، في وقت كان هناك دعم على نفس المستويات لهذا المشروع انطلاقاً من تلاقي المصالح. وصارت الدولة الإسلامية متلازمة مع تنظيم داعش بحيث اننا عندما نتحدث عن الدولة فإننا نتحدث عن دولة داعش. وبذلك نشأت هذه "الدولة" بظل تداخلات دولية وإقليمية وداخلية، حيث شكّلت التدخلات الإقليمية الخارجية عاملاً مهماً في نشوء ظاهرة التطرف السلفي ودفعها وتوجيهها وانتشارها في المجتمعات العربية الإسلامية[1].

و"داعش"[2] كلمة تلخص عبارة "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وهو اسم جديد لتنظيم قديم استخدم أول مرة في نيسان عام ٢٠١٣، وظهر هذا التنظيم في ١٥ تشرين الأول من العام ٢٠٠٦، حين

[1] عبد الملك ممد عبدالله عيسى ، حركات الإسلام السياسي فياليمن، سلسلة أطروحات الدكتوراة،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٠٥.

[2] الجماعات المكونة ل"داعش": تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، جيش الطائفة المنصورة، سرايا الجهاد الإسلامي، سرايا الغرباء، أنصار التوحيد، سرايا فرسان التوحيد، كتائب الهوال، جيش أهل السنة والجماعة، مؤسسة أبو بكر البغدادي، كتائب المرابطين، جند الصحابة، جيش الفاتحين، كتائب أنصار التوحيد، كتائب كردستان، وعدد كبير من جيش أبي بكر الصديق منشقون عن الجيش الإسلامي (راجع مجلة معلومات، العدد ١٢٩، صفحة ٨٦),

تأسس ما عرف باسم "دولة العراق الإسلامية" بعد دمج مجموعة من التنظيمات أبرزها "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" بقيادة أبو مصعب الزرقاوي _الذي أسس التنظيم بعد أن بايع بن لادن واتحد معه عام ٢٠٠٤ – ، ومجلس شورى المجاهدين في العراق، وجند الصحابة ،واتخذ التنظيم حينها مدينة بعقوبة في العراق عاصمة له[١].

تعد "الدولة الإسلامية في العراق والشام" "داعش (تنظيماً جهادياً يضمّ عناصر من جنسيات مختلفة .

وإذا ما رصدنا التسلسل التاريخي لتحول الفكر إلى تطبيق، نجده بدأ أواخر سبعينات القرن الماضي مع تشكل مجموعات جهادية، تهدف إلى قلب أنظمة الحكم في العالم العربي. وكان كتيب صغير للمصري محمد عبد السلام فرج بعنوان "الفريضة الغائبة"، شكل دليلاً لتلك الحركات .وكان يدعوا لقتال العدو القريب ،أي الأنظمة الحاكمة ،في البلدان ذات الغالبية السكانية المسلمة. بعد ذلك أتت مرحلة الجهاد في افغانسان تحت لواء عبدالله عزام، ومن ثم تشكل تنظيم القاعدة برعاية عزام، وبعد لقائه بن لادن لتتبلور معهما فكرة الجهاد العالمي التي صارت عنوانا لًعمل القاعدة. ومن ثم بعد مقتل عزام، وانتهاء حرب أفغانستان، وانسحاب السوفيات منها، مَثّل أيمن الظواهري الذي صار مرشداً ل بن لادن عودة الفكر الجهادي الذي ينادي بقلب الانظمة من جديد وتوج ذلك باعلان بن لادن عن تشكيل الجبهة الاسلامية العالمية قتال اليهود والصليبيين عام ١٩٩٨،وبدأ ما بات يعرف الجهاد العالمي للقاعدة وجاءت أحداث ١١ أيلول التي ولدت حملة دولية بقيادة أميركية لمحاربة الإرهاب الذي باتت الحركات الجهادية الإسلامية تصنف ضمنه [٢].

تدرجت "داعش" في عدة مراحل قبل ان تصل الى ما هي عليه اليوم، فبعد تشكيل جماعة التوحيد والجهاد بزعامة ابي مصعب الزرقاوي في عام ٢٠٠٤، تلى ذلك مبعايته لزعيم تنظيم القاعدة السابق اسامة بن لادن ليصبح تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين. وكثف التنظيم من عملياته إلى ان اصبح واحدا من اقوى التنظيمات في الساحة العراقية وبدأ يبسط نفوذه على مناطق واسعة من العراق إلى ان جاء في عام

---

[١] صحيفة "السفير" ٢٠١٤/٦/٢٤.

[٢] صحيفة الديار، ١٢-١٢-٢٠١٤.

٢٠٠٦ ليعلن الزرقاوي في شريط مصور عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين بزعامة عبدالله رشيد البغدادي(أبو عمر).

وبعد مقتل الزرقاوي، جرى انتخاب ابي حمزة المهاجر زعيما للتنظيم. وفي نهاية السنة، تم تشكيل دولة العراق الاسلامية بزعامة ابي عمر البغدادي.وفي ١٩ نيسان ٢٠١٠ قتلت القوات الاميركية والعراقية ابي عمر البغدادي وابي حمزة المهاجر، بعدها بعشرة ايام، انعقد مجسل شورى الدولة ليختار ابي بكر البغداداي خليفة له والناصر لدين الله سليمان وزيراً للحرب.

ويعتبر الباحث في الشؤون الاسلامية رومان كاييه من "المعهد الفرنسي للشرق الاوسط"، ان عددا من قادة التنظيم العسكريين عراقيون او ليبيون في حين ان قادته الدينيين من السعودية او تونس. ولم تعلن "الدولة الاسلامية" ولاءها لزعيم "القاعدة" ايمن الظواهري الذي سمى "جبهة النصرة"، الجناح الرسمي للتنظيم في سوريا[١].

بعد اندلاع الأزمة السورية، تمدد التنظيم إلى سورية وأنشأ فرعاً له هناك سمي "جبهة النصرة" بقيادة أبي محمد الجولاني، وعندما أعلن البغدادي عن دمج "دولة العراق الاسلامية" مع "جبهة النصرة" وأصبح اسمه "الدولة الاسلامية في العراق والشام" " "داعش".

رفض الجولاني الدمج وأعلن ولاءه لأيمن الظواهري، وبقيت تعمل تحت اسم "جبهة النصرة" أي بقي في كنف تنظيم القاعدة.

بعد إعلان التنظيم قيام دولة الخلافة بتاريخ (٢٠١٤/٦/٢٩)، حَول "داعش" اسمه إلى تنظيم" الدولة الاسلامية" وتمكن من السيطرة على ٤٠% من شمال العراق، وربع الاراضي السورية[٢].

تنظيمياً، يعتبر ابو عمر البغدادي صاحب الفضل في ارساء الهيكلية العامة للدول الاسلامية قبل أن يطورها خلفه أبو بكر البغدادي. نشير إلى أن "داعش" يرتبط عقائدياً بإبن تيمية وبتنظيم القاعدة،[٣].

أولاً:هيكلية الدولة الإسلامية وآليات عملها

---

[١] "البورصة"، ٢٠١٤/٧/١٢.

[٢] صحيفة "الحياة" ٢٠١٤/٩/١٦.

[٣] صحيفة" السفير" ٢٠١٤/٧/٧.

اعتمد داعش منذ دخوله سوريا رسمياً في ٨ نيسان ٢٠١٣ على تسمية مناطق نفوذه بالولايات وقسمها الى ١٦ ولاية بين سوريا والعراق ٨ في كل منها والرقة عاصمته المزمعة في سوريا. دعمت النصرة التنظيم ولكن مع اعلان ضمه من قبل البغدادي انشق الكثير من مقاتلي النصرة واتبعوا البغدادي وحصل نزاع مسلح بين الفريقين. في ٢٩ حزيران ٢٠١٤ اعلن المتحدث باسم التنظيم تغيير اسم التنظيم إلى "الدولة الاسلا مية"واعلان البغدادي خليفة للمسلمين [١].

١- البنية الهيكلية

منذ تشكيل التنظيم اتخذ طابع نواة سلطة الدولة، ونحن عندما نرصد بنيتة نجده يتكوَن من الأجهزة التالية:

- المجلس الشرعي ٦ أعضاء برئاسة البغدادي، يراقب باقي المجالس ويختار الخليفة بحال موت الخليفة الحالي.

- مجلس الشورى -١١ عضواً، يزكي المرشحين لمناصب الولاة، و أعضاء المجلس العسكري، يختارهم البغدادي ويحق لهم عزل أمير التنظيم.

- المجلس العسكري ٨ – ١٣ عضواً، يتولى المهام العسكرية من تخطيط و غزوات و تسليح وغنائم وتقويم عمل الأمراء العسكريين.

- المجلس الأمني: مكون من رئيس وعضوين، مهامه أمن الخليفة الشخصي ومراقبة الأمراء الأمنين، يشرف على القضاء وإقامة الحد.

- الهيئات الشرعية: قضاء – خصومات، تجنيد – دعوة... الخ.

اداريأ: هناك ١٦ ولاية حالياً للتنظيم، نصفها بالعراق:ديالي، الجنوب، الأنبار، صلاح الدين، كركوك، نينوى، شمال بغداد، بغداد. ونصفها الآخر في سوريا وهي حمص، حلب، الخير (دير الزور)، البركة (الحسكة)، البادية، الرقة، حماه، دمشق.

[١] صحيفة "السفير" ١٥-١٢-٢٠١٥.

يعتمد التنظيم على ثلاثة شرعيين بمثابة المفتيين هم:

ابو بكر القحطاني(سعودي)، تركي البغلي (بحريني)، عثمان آل نازع العسيري (سعودي).

٢-إعلان قيام دولة الخلافة

في الأول من رمضان ٢٠١٤ (٢٠١٤/٦/٢٩) أعلن مجلس شورى "داعش" قيام الخلافة الاسلامية، ونصَب ابو بكر البغدادي أول خليفة للمسلمين في عصرها الجديد. واعلن عن تأسيس المحاكم الشرعية وإقامة الحدود،، وفرض الجزية وغيرها.

أعلن التنظيم أنَ من لا يبايع يموت ميتة جاهلية، ودعا البغدادي إلى الهجرة إلى دار الإسلام كواجب، وحضَ على الجهاد تشير تقديرات استخبارية غربية إلى أنَ ١٨ ألف مقاتل من جنسيات مختلفة يبايعون البغدادي كخليفة[١] .

ثانياً: مدى انتشار التنظيم وموارده

أ- مدى الانتشار

تمكن تنظيم داعش من جذب مجموعات من العالم العربي ومن الخارج على المستويين الإسلامي والدولي. وعقب إعلان الخلافة وسع إطار دولته من خلال السيطرة والبيعات، فشن في ١٠ حزيران ٢٠١٤ هجوماً وتمكن من السيطرة على مدينة الموصل ثاني أكبر المدن العراقية، وعلى محافظة صلاح الدين التي فيها أكبر مصافي النفط العراقية، وفي ٢٧ حزيران اتخذ التنظيم قراراً بغزو لبنان، وبعد إعلانه الخلافة اختار عبد السلام الأردني أميراً له في لبنان،[٢] وفي الأردن أضطر الملك عبدالله ان يدعو المجتمع الدولي لدعم بلاده بعد تنظيم مسيرة تنظيم مؤيدة لداعش جنوب الأردن في معان قرب السعودية. ودفع تمدد التنظيم السعودية إلى نشر ١٣٠ ألف جندي على حدودها مع العراق إثر إنتشاره هناك.

وفي الملكة المغربية بايعت مجموعة من تنظيم القاعدة بقيادة القاضي عبد الله عثمان العاصمي داعش، وفي اليمن وتونس بايع قادة من أنصار الشريعة التنظيم وفي فلسطين بايعت جماعة أنصار بيت المقدس داعش. وفي الجزائر بايعت "جند الخلافة في الجزائر" بعد انشقاقها عن تنظيم قاعدة المغرب.

---

١ صحيفة" السفير" ٢٤ و ٢٠١٤/٦/٣٠.

٢ صحيفة "النهار" ١٤ /٢٠١٤/٨.

بعد الاعلان عن قيام دولة الخلافة شكلت سوريا أحد ركنيها من خلال انضمام المناطق التي تسيطر عليها داعش . سيطرت داعش على مساحة ٣٢٠ الف كم٢ في العراق وسوريا ويقطنها نحو ١٠ ملايين نسمة. وتمتلك داعش مصادر دخل مستقلة وتسيطر على مناطق غنية وعقيدة بدوية تكفيرية وقوةٍ مقاتلةٍ صعبة المراس.وكان شكل مطلع العام ٢٠١٤ الحجر الأساس لداعش حيث كثف هجماته على مدينة الرقة فاصطدم مع جبهة انصرة (القاعدة) ومع احرار الشام (قاعدة ايضاً) لتصبح الرقة اول محافظة تخرج بالكامل عن سيطرة الحكومة السورية ومن ثم فتحت سيطرته باب التمدد ليتبلور شكل " الدول الإسلامية" التي ينشدها وسيطر على دير الزور العائمة على بحيرات نفطية ما أمن له موارد جذبت فصائل صغير للانخراط معه فاكدت دولته من الموصل في العراق إلى حدود مدينة حمص في سوريا[١].

ومن خارج العالم العربي، انضم لداعش كوسوفيين وشيشانيين وأوروبيين ومن جنسيات كثيرة أخرى ووصل العديد منهم إلى مناصب عليا. وفي أندونيسيا أعلن ابو بكر باعشير الإمام الاندونيسي المتطرف مبايعته للتنظيم، وفي باكستان بايعت التنظيم مجموعة من طالبان[٢] أعلن داعش عن انشاء ولاية خراسان في أفغانستان وباكستان وهي تدين بالولاء لخليفة الدولة أبو بكر البغدادي، كما وأنشأ ولاية سيناء وشمال أفريقيا واليمن ونيجيريا[٣].

وقد أظهرت لائحة أعدها المركز الأميركي العربي لمراقبة الجماعات المتطرفة "انتلسنتر" أن٣١ حركة "جهادية" في العالم اعلنت مبايعتها زعيم تنظيم" الدولة الإسلامية "، أبوعمر البغدادي.وكان البغدادي أعلن أواخر حزيران ٢٠١٤ في مدينة الموصل إقامة خلافة إسلامية وأطلق على نفسه اسم الخليفة ابراهيم [٤].

ب-: الموارد

تمكن التنظيم عقب سيطرته على أراضي في سوريا والعراق واعلان دولته تأمين موارد متنوعة بعضها مستمر وبعضها الآخر آني، وهي تنوعت بين السيطرة على مناطق نفطية وزراعية، وبين

---

[١] علاء الحلبي، هكذا تحول داعش إلى دولة، صحيفة"السفير"، ٢٩-٦-٢٠١٥.

[٢] صحيفة"النهار" ٣٠ آب ٢٠١٤، صحيفة"الحياة" ٢٠١٤/٧/١، (صحيفة"الحياة" ٢٠١٤/٨/٦، صحيفة"الصباح"، تونس،٢٠١٤/٣/١.

[٣] صحيفة "الحياة" ٣٠ ١٢-٢٠١٥.

[٤] صحيفة "النهار" ٢-٤-٢٠١٥.

تأمين موارد من بيع اثار سيطر عليها وتجارة وخوات وضرائب وبيع اعضاء بشرية وبيع فتيات ... الخ .

أمسك تنظيم – "داعش" مع سيطرته على عدد من المحافظات العراقية، بمنابع الموارد المائية فيها. فهناك نحو خمسين سداً على نهري دجلة والفرات سيطر التنظيم على عدد منها في الأنبار وديالى، ويستخدمها للضغط على القرى لمبايعته كما يستغلّها للابتزاز عبر قطع المياه والكهرباء وإعادة بيعها مقابل مردود مالي كبير، بالإضافة إلى تهديده بإغراق القرى والطرق بالمياه لصد الحملات الأمنية ضده .وكانت تمت استعادة سد الموصل بعد سيطرة "داعش" عليه وهو يُعدّ أكبر منشأة مائية عراقية، ولا يزال التنظيم يمسك بعدد من السدود الاستراتيجية في العراق [١].

أما على صعيد النفط فقد كشفَ تقريرٌ أميركي صادر عن معهد "بروكنز" في واشنطن عن أن "داعش" يحقق مكاسب يومية لا تقل عن ٣ ملايين دولار كأرباح صافية من بيع النفط العراقي والسوري في السوق السوداء في كل من العراق وتركيا .وتسيطر "داعش" على ٦٠% من إنتاج النفط السوري. وكانت بيانات رسمية أعلنت عنها الحكومة السورية، قد كشفت أن "داعش" ينتج ٥ أضعاف ما ينتجه النظام من النفط، اذ كشفت أن إنتاج "داعش" يبلغ ٨٠ ألف برميل يومياً، مقابل 17ألف برميل يومياً تنتجها الدولة السورية[٢]. وتوضح بيانات من مصادر متنوعة ان التنظيم يحصل نحو٥٠ مليون دولار شهرياً من بيع النفط من الحقول التي تقع ضمن نطاقه في سوريا والعراق[٣].

وفيما خص القمح، تقدر الأمم المتحدة أن الأرض الواقعة تحت سيطرة تنظيم داعش توفر ما يصل إلى ٤٠ في المئة من الإنتاج السنوي للعراق من القمح[٤] .

وهو يفرض نسبة ٢٥ في المئة على البضائع التي تمر في مناطق سيطرته[٥]

ونظراً للتأثير السلبي على التراث العاملي انطلاقاً حصل للآثار الموجودة ضمن نطاق الدولة الإسلامية وصفت المديرة لعامة ليونسكو إيرينا بوكوفا ما يجري على يد تنظيم الدولة في الموصل بأنه " تطهير ثقافي"[١].

---

[١] صحيفة "السفير" ٢٠١٤/١٠/١٤

[٢] صحيفة "النهار" ٢٠١٤/١٠/٨

[٣] العربي الجديد، ٢٤ تشرين الأول، ٢٠١٥.

[٤] صحيفة "الوطن" ٢٠١٤/١٠/١.

[٥] مجاة الصياد، ٢-١١-٢٠١٥.

وكانت اللجنة المالية في البرلمان العراقي كشفت عن تحويلات مصرفية بقيمة ٦،٩ مليار دولار لمناطق يحتلها عبر شركات تحويل مالي[٢].

قال رئيس الاستخبارات الداخلية الالمانية ان داعش تنظيم أشبه بدولة،وقد حصل في العام ٢٠١٤ نحو ٩٠٠ مليون دولار من خلال تجارة النفط والضرائب والعائدات من الاغراض التي صادرها في مناطق سيطرته، ويدير موازنة مركزية من الموصل، في حين يشرف الولاة على موازنات محلية في ولايات التنظيم ويذهب نحو ثلثي الموازنة إلى أجهزته العسكرية[٣].

يستفيد من بيع نحو ٤٠ بالمئة من انتاج القمح العراقي. نحو مليار دولار من تهريب الهيروبين الافغاني بحسب رئيس الهيأة الروسية لمطافحة المخدرات فيكتور ايفانوف. وباع آثار ب مليار و٢٠٠ مليون دولار بحسيب اللجنة المالية في مجلس النواب العراقي. الى جانب بيع الاعضاء البشرية[٤].

ج- المواقف من إعلان الخلافة:

لم يلق إعلان الخلافة تجاوباً من قبل التيارات الإسلامية والكثير من المشايخ السلفيين، واعتبرها البعض منهم خطوة تستدرج الامة الاسلامية لمزيد من الصراعات والنكبات. ففي سوريا مثلاً، وهي أحد ركني دول الخلافة رفضت تسع جماعات إسلامية إعلان الخلافة[٥] كما انتقد منظَر التيار السلفي الجهادي في الأردن أبو محمد المقدسي إعلان الخلافة [٦].

أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يرأسه الشيخ يوسف القرضاوي قال فيه أنه يتمنى أن تقوم الخلافة اليوم قبل الغد، لكن الخطوة التي اتخذها دعش ترتب عليها آثار خطيرة على أهل السنة في

---

[١] العربي الجديد، ١٥-٤-٢٠١٥
[٢] العربي الجديد، ٢٨-٧-٢٠١٥
٣ صحيفة "الحياة" ١٧-١٢-٢٠١٥.
٤ صحيفة" الاخبار" ١١ -١٢-٢٠١٥.
٥ صحيفة "السفير" ١و٢/٧/٢٠١٤.
٦ صحيفة "السفير" ٣/٧/٢٠١٤.

العراق وعلى الثورة في سوريا وأن طبيعة إعلان المشروع يؤدي إلى الحاق الضرر بمشروع الخلافة والإعلان الراهن هو باطل شرعاً[1].

د- أبرز الشخصيات التي تقود التنظيم[2] .

---

١ صحيفة "الشرق الأوسط" ١٤-١٠-٢٠١٤.

[2] أبو عمر البغدادي:

حامد داوود محمد خليل الزاوي، من مواليد قرية الزاوية في الأنبار ١٩٦٤، كان ضابطاً في الشرطة العراقية، فُصِل في العام ١٩٩٣ بتهمة الوهابية، إنضم إلى جماعة التوحيد والجهاد وصار مسؤولها عام ٢٠٠٧، دعا أسامة بن لادن لمبايعة البغدادي أميراً على دولة العراق الإسلامية، بايعته معظم التشكيلات السلفية الجهادية في العراق، أعلنت القوات الأميركية مقتله في ٢٠١٠/٤/١٩.

أبو بكر البغدادي:

إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدر السامرائي، من مواليد سامراء ١٩٧١ من عائلة متزمته تنتمي إلى عشيرة البوبدري العراقية حامل دكتوراه بالتجويد وخطيب وإمام مسجد.أنشأ جيش أهل السنة والجماعة، أعتقل عام ٢٠٠٤، وأطلق عام ٢٠٠٦، إنضم مع تنظيمه لمجلس شورى المجاهدين، كان اليد اليمنى لأبي عمر البغدادي الذي أوصى بزاعمته قبل موته أميراً على الدولة الإسلامية في العراق، ونُصِّب في ٢٠١٠/٥/١٦.

أبو عبد الرحمن البيلاوي:

عدنان إسماعيل لجم يُلقب بأبي أسامة البيلاوي وأبو البراء، مواليد الأنبار ١٩٧٣، كان مقدم في الحرس الجمهوري العراقي، وكان المساعد الأيمن للزرقاوي، سجن عام ٢٠٠٦، هرب عام ٢٠١٣، عُين القائد الثاني لداعش في سوريا، قتل عام ٢٠١٤.

العقيد حجي بكر:

سمير عبد حمد العبيدي الدُّليمي، سمي بأبي بلال المشهداني، وحجي بكر، ولد بالخالدية في الأنبار مطلع الستينات، ضابط برتبة عقيد في الجيش العراقي، كان اليد اليمنى لأبي بكر البغدادي حتى مطلع ٢٠١٤، تسلم مسؤولية المجلس العسكري ووزارة التصنيع العسكري لداعش وتولي إدارة العمليات العسكرية في الشام، قتل في كانون الثاني ٢٠١٤ بمواجهة مع جبهة النصرة.

أبو أيمن العراقي:

أبو مهند السويداوي مواليد عام ١٩٦٥ مقدم في الجيش العراقي، عضو في أول مجلس عسكري لداعش وأهم مسؤول لتنظيم في سوريا اليوم، أعتقل عام ٢٠٠٧، وأطلق عام ٢٠١٠، كفرٌ كل من لا يبايع داعش، أعلن عن مقتله أربعة مرات ولم يتأكد ذلك حتى الآن.

أبو علي الأنباري:

علاء كرداش التركماني، مواليد تلعفر، لقب أبو جاسم العراقي، أو عمر كرداش، أو علي الأنباري، هو أستاذ في الفيزياء، ألتحق بأنصار الإسلام وأنفصل أو طرد فإلتحق بقاعدة الجهاد ثم عُزل فألتحق بدولة العراق الإسلامية وذاع صيته مع تولي أبو بكر البغداد، كان عين البغدادي الخفية داخل النصرة، ينسب له التخطيط لإغتيال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وهو رجل أمني بإمتياز.

أبو محمد العدناني:

طه صبحي فلاحة من بنش بريف أدلب مواليد ١٩٧٧، ألتحق بالعراق بالزرقاوي وأعتقل بالأنبار ٢٠٠٥، أطلق عام ٢٠١٠، له إسم مزور، هو ياسر خلف حسين نزال الراوي، لقب بأبي محمد العدناني وطه البنشي، وجابر طه فلاح، وأبو الخطاب، وأبو صادق الراوي، سُمي المتحدث الرسمي لدولة العراق الإسلامية لفترة.

أبو حمزة المهاجر أو أبو أيوب المصري:

عبد المنعم عز الدين علي البدوي، مواليد سوهاج مصر، ١٩٦٨، انضم إلى الجماعة الجهادية التي أسسها أيمن الظواهري، وعمل كمساعد شخصي له، عمل بصناعة المتفجرات، شارك في بناء القاعدة في العراق، وإلتحق بالزرقاوي، وبعد مقتل الزرقاوي في ٢٠٠٦ أصبح زعيماً لتنظيم القاعدة وعُيِّن وزير حرب دولة العراق الإسلامية ونائب أول لأبي عمر البغدادي، قتل بقصف أمريكي في ٢٠١٠/٤/١٩.

عمر الشيشاني:

مواليد جورجيا ١٩٨٦، كان في الجيش الجورجي، سُرح عام ٢٠١٠ لمرضه، سجن ثلاث سنوات وأطلق بسبب وضعه الصحي، لعب دوراً هاماً في ضم المهاجرين من القوقاز وغيرها لداعش.

وكان التنظيم عمد إلى بث الرعب في إطار انتشاره وبناء دولته مستفيداً من وسائل الاتصال الحديثة بكل أنواعها فعمد إلى تصوير عمليات الاعدام التي نفذها بوحشية ونشرها وأصبح للتنظيم مؤسساته الاعلامة الرسمية ومنها الفرقان، الاعتصام الحياة للإعلام، أجناد، كما استند إلى المؤسسات غير الرسمية والمناصرة إلى جانب مواقع التواصل الإجتماعي [1].وقالت منظم الامم المتحدة للطفولة (يونسيف) أن نحو ٦٧٠الف طفل حرموا من التعليم بعد أن أمر داعش بإغلاق مدارسهم إلى حين تغيير المناهج وتم اعتماد مناهج دينية متزمتة [2].

في المحصلة، يتبين أن مشروع الدولة الإسلامية التكفيري (داعش) ليس وليد ظروف آنية، بل هو تجربة تطورت عبر الزمن وتبلورت ضمن أطر عقائدية وفكرية واختمرت على أيدي العديد من الفقهاء والمنظرين والمفكرين الإسلاميين. فهي كما ذكرنا بدأت مع تكفير الخوارج للخليفة الرابع وقتله في العهد الأول للخلافة الإسلامية، ومن ثم تأطرت فكرياً مع أحد ائمة المذاهب الإسلامية الأساسية أحمد إبن حنبل، ثم تبعه كثر كان أبرزهم تأثيراً على الصعيد العقائدي إبن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، ومن ثم تبلور كمشروع علي يدي حركة طالبان والقاعدة من بعدها . ليخرج مشروع الدولة الإسلامية على أراضي العراق والشام مشكلا نموذجاً فريداً بحيث أنه خرج من أطر التنظيمات ودخل في مشروع إقامة دولة لكنها لم تكتمل بعد. بحيث أن الدولة كما ذكرنا تكون من الاقليم الجغرافي المحدد، والشعب، والسلطة وتحتاج اعتراف دوليا بها. والدولة الإسلامية لديها سلطة خاصة ذكرنا هيكليتها سابقاً، وهناك أناس ضمن نطاقها، لكن حدودها الجغرافية في حال تمدد وتقلص انطلاقاً من مجريات المواجهات المسلحة. كما أنها تفتقد إلى الاعتراف الدولي.

إلى جانب ذلك شكلت هذه الظاهرة مصدر خطر على السلم والأمن الدوليين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية وهي اتبعت مساراً إجرامياً قل نظيره بين مظاهر الإرهاب التي شهدناها في العصر الحديث. وهي تعرضت لحملات عدة تحت عنوان مواجهتها والقضاء عليها، فما هي طبيعة هذه المواجهات وما هي مفاعيلها، وما المطلوب للقضاء على هذه الظاهرة؟.

[1] الديار ٩-٥-٢٠١٥

[2] صحيفة" الحياة " ٧-١-٢٠١٥.

الفصل الثاني: سبل المواجهة وآفاق المستقبل

شهد المجتمع الدولي حملتان على الإرهاب خلال القرن الحالي، انطلقت الحرب الأولى في العام ٢٠٠١ واستهدفت مشروع دول طالبان/القاعدة في أفغانستان –، وانتهت عملياً مع الانسحاب الأميركي من العراق عام ٢٠١١ وأفغانستان عام ٢٠١٣، فيما الحرب الثانية أعلنت عام ٢٠١٤ بعد قيام دولة داعش بأشهر ولا تزال مستمرة، وقد شكلت الحربان مواجهة للسلفية الجهادية التكفيرية. تبين من خلالها كيف تمت إدارة الحرب من خلال الولايات المتحدة التي أخضعت المجتمع الدولي، والتنظيم الدولي، وسخرت القانون الدولي في أكثر من محطة لإرادتها. من هنا فإننا عندما ننظر إلى نتائج الحرب الأولى نفهم لماذا لم تحقق الأهداف المعلنة. وقد أثبتت حرب الولايات المتحدة العالمية "على الإرهاب" أنها أكثر تعقيداً وتكلفة من المتوقع وقد شهدنا في سياقها تبايناً بين النهجين الأميركي والأوروبي تجاه الإرهاب الدولي. ففي ظل تلك الحملة بدلت القاعدة قيادتها، وأعادت ابتكار نفسها ، ونوعت قواعدها وتكتيكاتها المتبعة للتجنيد، ووسعت نشاطاتها هذا من جهة .

انطلاقاً من خيارات السياسة الخارجية الأميركية في تعرضت واشنطن لأزمة الاقتصادية في العام ٢٠٠٨، وهو ما انعكس سلباً على دورها العالمي. وقبيل تعرضها للأزمة كانت سعت إدارة بوش في عام ٢٠٠٧ لاعتماد نهج أكثر شمولاً في "الحرب العالمية على الإرهاب"، حيث دعت إلى الإشراك والمفاوضات بالإضافة إلى الإكراه والاحتواء. وهذا يعبر عن تبدل في طبيعة المواجة فبعد أن كانت تمثلت بالحرب المباشرة وانزال قوات عسكرية برية من قبل واشنطن وحلفاؤها، بدأت الولايات المتحدة تبحث عن سبل أخرى للمواجهة. وبعد أن قامت دولة داعش أعلنت واشنطن حرباً عليها تحت عنوان الحرب على الإرهاب كانت الحملة الثانية التي غابت عنها استراتيجية النزول العسكري البري المباشر.إزاء ذلك يمكن القول أن إطار العلاقات الدولية أسهم في تطور وتحول تنظيم القاعدة واستمرار

دوره، وفي نشوء تنظيم داعش ودولته.في وقت غابت عن الحملة الأولى المواجهة العقائدية أوالفكرية الفاعلة لهذا النهج ، في حين تشهد الحرب على داعش بعض الخطوات في هذا المضمار، وهنا يطرح السؤال حول طبيعة مواجهة داعش دولةً وفكراً حتى الآن،وحول ما هو المطلوب فعلياً للقضار عليها ومنع بروز نماذج شبيهة ؟.

المبحث الأول : طبيعة المواجهة الحالية ومفاعيلها

بعد انقضاء ما قارب العقد والنصف على اطلاق الحرب العالمية على الإرهاب(٢٠٠١-١٠١٣)، أطلقت الولايات التحدة الأميركية وبعض الدول معها الحرب على "الدولة الإسلامية" في العام ٢٠١٤ والتي جاءت بعنوان الحرب على داعش، بعد إعلان قيام الدولة الإسلامية في ظل أوضاع دولية متشابكة، وحال من انعدام التوازن التي ولَدتها انعكاسات الحرب على الإرهاب .

وإذا كانت الحرب على الإرهاب عام ٢٠٠١ عبارة عن اعلان حرب على مفهوم غير محدد في الزمان والمكان، أي إعلان حرب غير محددة المعالم، والعدو فيها غير معروف أصلا في الحيز الجغرافي وهو ما أتاح لواشنطن أن تنتقل بحروبها وفق مصالحها ، فإن الحرب على داعش تختلف عن تلك الحرب بأنها جاءت محددة الإطار إلى حد ما، كون الدولة الإسلامية التي أقامتها داعش لها حيز جغرافي وبالتالي فإن الحملة العسكرية محددة المكان وليست مفتوحة.

وكما تعددت جبهات الحرب على الإرهاب ، كذلك جاء إعلان الحرب على داعش، غير أن مسار الحرب بين أنه الأساس فيها كان الضربات العسكرية الجوية التي قررتها واشنطن ضمن إطار تحالف مع بعض الدول.وبينت تلك الحملة واقع القوى الموجودة لجهة الدول والمنظمات.

عبَر إعلان الحرب على داعش الاستراتيجية الجديدة في توجه السياسة الخارجية الأميركية، والدور الذي ترتئيه واشنطن لنفسها لتقود من خلاله الحرب .حددت واشنطن العدو وهو الدولة الإسلامية . فبعد أن تعرضت الولايات المتحدة في العام ٢٠٠٨ لأزمة اقتصادية كان لها تداعيات أساسية على الدور الأميركي على المسرح الدولي جاءت الحرب على الدولة الإسلامية لتعبر عن تغيّر الاستراتيجية الأميركية

في التدخل الخارجي. تجلّت نتائج الحرب على الإرهاب(٢٠٠١) بتداعيات الأزمة الاقتصادية، مما دفع الولايات المتحدة إلى الإنسحاب من أفغانستان في العام ٢٠١١ ،بظل انتشار طالبان والقاعدة على مساحة بنحو ٨٠ في المئة من مساحة البلاد. وتبع ذلك انسحابها من العراق في العام ٢٠١٣ في ظل فوضى كبيرة وعدم استقرار في ذلك البلد،وفي ظل أوضاع أدّت إلى ظهور تنظيم داعش ثم قيام دولته .

هذا يستتبع طرح التساؤل التالي: إذا كانت الإدارة الأميركية قادت حملة شبه شاملة على الإرهاب وفشلت في الحد من فاعلية الجماعات الإرهابية ودورها، فهل تكفي حملتها العسكرية الجوية الراهنة على الدولة الإسلامية للقضاء على هذا المشروع الإرهابي التكفيري؟.

فقرة أولى: طبيعة الحرب

عندما اعلن تنظيم داعش عن قيام الدولة الإسلامية ومشروع الخلافة لم يتحرك المجتمع الدولي ولا التنظيم الدولي والاقليمي، لكن مع تمدد مشروع الدولة إلى حدود دولة إقليم كردستان العراق بعد نحو شهرين على قيام الدولة الإسلامية أعلنت واشنطن عن إنشاء تحالف دولي لمحاربتها!.

وبناءاً على تبدل السياسية الخارجية الأميركية بتأثير الأزمة الإقتصاية التي أصابتها، أعلنت أن حربها على داعش تقتصر على عمليات عسكرية جوية دون اللجوء إلى تدخل عسكري بري واسع. وفي حين كانت الحرب على الإرهاب غير المحدد شاملة، جاءت حربها على دولة محددة النطاق الجغرافي محصورة بضربات عسكرية.

كانت "داعش" قد ولدت في العراق علي يد "أبي مصعب الزرقاوي" في عام ٢٠٠٤(١)، ثم أخذت تمتد إلي سوريا في ربيع ٢٠١٣، عبر مصادمات متوالية مع الحركات الثورية السورية في المناطق الشرقية والشمالية (الجيش السوري الحر، أحرار الشام، الجبهة الإسلامية، جيش المجاهدين). كما وجهت الحركة ضربات إرهابية إلي تركيا وحزب الله في بيروت، بالإضافة لعملياتها في العراق (الهجوم علي سجن "أبو غريب" في يوليو سنة ٢٠١٣، وتمكنها من الإفراج عن قرابة ٥٠٠ سجين، بمن في ذلك عدد من العناصر القيادية "داعش.

وهنا، يلاحظ أن بصمات الحركة كانت واضحة منذ مراحلها الأولى، من حيث تفردها في العمل، وتمسكها بأيديولوجيا إسلامية متطرفة، ووجود عدد من غير العرب بين قياداتها، واتباعها أساليب وحشية مع خصومها تشمل الإعدام الجماعي، والذبح والتمثيل بالجثث، وانتهاك حقوق السكان المدنيين بدعوي تطبيق "الحكم الإسلامي". وفي المقابل، يلاحظ توالي المصادمات العسكرية لـــ "داعش" مع القوات العراقية. ورغم أن عمليات "داعش" في سوريا لم تخل من هجمات على القوات والقواعد السورية

(الاستيلاء علي مطار "المناغ" الحربي في أغسطس ٢٠١٣)، فإنه يلاحظ اتساع مسرح العمليات الذي تتحرك عليه "داعش"، وتعدد خصومها، وتنوع طبيعة التكتيكات المستخدمة، بل طموحها للاستيلاء على مساحات كبيرة من الأراضي بشكل يناقض استراتيجيات حرب العصابات.

وهكذا، بدأت حملة "داعش" على محافظة "الأنبار" في العراق مع نهاية ٢٠١٣، وما لبثت أن أعلنت الدولة الإسلامية في "الفلوجة" في بداية ٢٠١٤،شهد هذا العام مصادمات مع القوات العراقية في المناطق المجاورة. ومع شهر حزيران/يونيو، تم الاستيلاء على "الموصل"، ثم "تكريت". وظهرت صور الإعدام الفردي والجماعي، وهروب المدنيين، خاصة المسيحيين منهم. ووسط انهيار القوات العراقية، استولت "داعش" على كميات كبيرة من الأسلحة والأموال (قيل إن بنوك الموصل احتوت على مبالغ تصل إلى نحو ٤٣٠ مليون دولار). وتحركت قوات البشمركة الكردية للاستيلاء على "كركوك" لحمايتها من تقدم قوات "داعش" (١٣ يونيو)، بينما اتجهت الأخيرة لاحتلال مراكز استخراج وتكرير البترول، بالإضافة إلى عدة نقاط حدودية مع سوريا، والأردن. ولأول مرة، تدخل الطيران السوري لضرب مواقع "داعش" داخل العراق (٢٤ يونيو)، وهو ما لقي ترحيبا من جانب رئيس الوزراء العراقي (آنذاك) نوري المالك. ومع ذلك، فقد أُعلن يوم ٢٩ يونيو عن تولي أبي بكر البغدادي الخلافة علي رأس "الدولة الإسلامية"، وما لبث أن وجه نداء للمسلمين بالانضمام تحت رايته، والهجرة إلى دولته.

وتوالت مشاهد العنف والوحشية، فقامت في إعدام العشرات بل المئات، بمن في ذلك رجال الدين، مع تدمير المقدسات الدينية والآثار والتراث الحضاري . وفي بداية آب/أغسطس، تم الاستيلاء على "سنجار"، وهرب "الإيزيديون" من السكان من القتل والأسر، وسط أحداث عبأت الإعلام العالمي، و تصريحات الإدانة، مع مطالبات بالتدخل لوقف انتهاكات داعش تجاه جميع من ليس ضمن عقيدتها.

توجهت قوات "داعش" نحو المناطق الكردية، وسرعان ما أعلن الرئيس الأمريكي توجيه ضربات جوية ضدها في العراق يوم ٧ آب/أغسطس، بالإضافة إلي إسقاط مواد الإغاثة، بينما أسرعت بريطانيا وفرنسا بالانضمام إلي جهود الإغاثة. وأعلنت واشنطن أن أفعال "داعش" ترقى إلي ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية. وقد اتهم نبيل العربي، أمين عام جامعة الدول العربية،حينها، "داعش" بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وطالب بتقديم مرتكبي هذه الأعمال للعدالة (١١ آب/أغسطس). ووجهت الفاتيكان نداءً للقيادات الدينية من الديانات كافة للتضامن في إدانة جرائم "داعش"، مع التركيز على القيادات الدينية للمسلمين،

حيث طالبهم "باتخاذ موقف واضح وشجاع"، مشيرا إلى أن صمتهم يثير التساؤل حول جدوى حوار الأديان.

إزاء هذه الأوضاع، وعلى الرغم من مظاهر العنف والإرهاب والتمدد لم يتحرك المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة فعلياً إلا بعد نحو شهرين بسبب تعرض مصالحها المباشرة للخطر.أعلن الرئيس الأميركي، باراك أوباما، في ١٠ أيلول/ سبتمبر أن بلاده ستقود تحالفا دوليا بهدف القضاء على "داعش" من خلال استراتيجية شاملة مضادة للإرهاب Comprehensive Counter-terrorism Strategy.وبدأت العمليات الجوية فوق سوريا يوم (٢٣ أيلول/سبتمبر) بمشاركة الولايات المتحدة، وبريطانيا، والبحرين، والأردن، والسعودية، والإمارات، وقطر. وتبلور الاسم الحركي للعمليات، وهو "العزيمة الكامنة Operation Inherent Resolve "، وتوالت الإسهامات العسكرية والإنسانية من جانب دول الناتو، وعدد من الدول العربية وغيرها[١].

أولاً: مستوى المواجهة وآلياتها

لا بد من رصد الحرب على داعش انطلاقاً من دور المجتمع الدولي والتنظيم الدولي والإقليمي فيها ، والبحث في إجراءات الحرب وأوجهها والنتائج التي تولدت عنها حتى الآن، لننطلق بعد ذلك في بحث فاعلية الحرب وطبيعة المواجهة المطلوبة والجهات المعنية بالمشاركة في الحرب على المشروع التكفيري والأدوار المفترضة.

١- دور التنظيم الدولي والإقليمي في الحرب على داعش

أ- الأمم المتحدة:

[١] محمد أنيس سالم، الدول العربية في مواجهة داعش، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام ، القاهرة ،العدد ١٩٩، أيار ٢٠١٦.

على صعيد الأمم المتحدة أصدر مجلس الأمن الدولي القرار ٢١٣٣ بتاريخ ٢٧ كانون الثاني عام ٢٠١٤، الذي أعاد من خلاله التأكيد على تنفيذ قراره رقم ١٣٧٣ الذي كان أصدره المجلس بعد هجمات ١١ أيلول /سبتمبر ٢٠٠١. وكان القرار ١٣٧٣ اعتبر أن الإرهاب يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين وتوسع ليتطرق إلى النواحي العملانية على الصعد السياسية، والقانونية، والمالية، و الأمنية وغيرها لمكافحة الإرهاب، موردا موضوع حق الدفاع عن النفس للفرد والجماعة، في مقدمته، كما نص في الفقرة السادسة منه على أنه "يقرر أن ينشئ وفقاً للمادة ٢٨ من نظامه الداخلي المؤقت، لجنة تابعة لمجلس الأمن تتألف من جميع أعضاء المجلس، لتراقب تنفيذ هذا القرار بمساعدة الخبرات المناسبة، ويطلب من جميع الدول موافاة اللجنة بتقارير عن الخطوات التي اتخذتها تنفيذاً لهذا القرار في موعد لا يتجاوز ٩٠ يوماً تاريخ اتخاذه، وأن تقوم في ما بعد وفقاً لجدول زمني تقترحه اللجنة كما نصت الفقرة السابعة. على أنه يوعز إلى اللجنة أن تقوم بالتشاور مع الأمين العام بتحديد مهامها وتقديم برنامج عمل في غضون ثلاثين يوماً من اتخاذ هذا القرار، والنظر في ما تحتاج إليه من دعم.

أما القرار ١٣٦٨ كان المجلس أكد فيه على مبادئ ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة وعقد العزم على مكافحة التهديدات التي يتعرض لها السلام والأمن الدوليان نتيجة الأعمال الإرهابية، كما أكد على حق الدفاع عن النفس وأدان الهجمات (١١ أيلول/سبتمبر)معتبراً إياها تهديد للسلام والأمن الدوليين دعا جميع الدول إلى العمل معاً بصورة عاجلة لتقديم المرتكبين إلى العدالة وأهاب بمضاعفة الجهود لمنع وقمع الأعمال الإرهاب. وأعرب عن استعداده لاتخاذ كافة الخطوات اللازمة للرد ومكافحة الإرهاب بمختلف أشكاله وفقاً لمسؤولياته بموجب ميثاق الأمم المتحدة وقرر إبقاء المسألة قيد النظر.

إلى جانب القرار ٢١٣٣ أصدر المجلس القرار رقم ٢١٧٠ تحت الفصل السابع والذ دعا إلى قطع الإمدادات المالية والبشرية عن تنظيم داعش وتنظيم جبهة النصرة كما دعا من خلاله إلى منع انتشار الفكر المتطرف الذي يمكن أن يؤدي إلى الإرهاب .

شكل تحرك الأمم المتحدة غطاءً شرعياً قانونياً ينطلق من محددات القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وربط من خلال قرارته مكافحة داعش، بمكافحة الإرهاب، وتطبيق مقاصد الأمم المتحدة وعلى رأسها حفظ الأمن والسلم الدوليين .

لكن سير العملية العسكرية شهد تحولاً عن الإطار القانوني، فقد صدرت قرارات مجلس الأمن ربطاً بمكافحة الإرهاب ضمن الفصل السابع، وتحت رعايته، في حين أن الحرب على داعش اقتصرت على

بعض العمليات العسكرية الجوية من قبل الولايات المتحدة، وبعض الدولة الحليفة لها.كما أن طبيعة المواجهة العسكرية التي اقتصرت على ضربات جوية بيَنت عدم جدية وجدوى المواجهة منذ البداية.

فإذا ما قمنا بمقارنة المواجهة الحالية مع المواجهة العسكرية التي اعتمدت في سياق الحرب على الإرهاب بعد هجمات ١١ أيلول(٢٠٠١)، نجد أن التحالف الراهن ضد الدولة الإسلامية وآليات عملياته ضعيفة وغير فاعلة. وإذا كانت الحرب الأولى على الإرهاب لم تتمكن من القضاء على القاعدة بعد نحو ١٢ سنة من المواجهة العسكرية فهل ستتمكن واشنطن من تحقيق انجازات عسكرية على الدولة الإسلامية انطلاقاً من المواجهة الجوية الحالية؟.

ب – جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي

-الجامعة العربية:

في ظل التطورات التي نجمت عن قيام الدولة الإسلامية وتحرك التنظيم الدولي والاقليمي عقدت جامعة الدول العربية اجتماعاً على مستوى وزراء الخارجية في القاهرة وتقرر اتخاذ كل الإجراءات الضرورية لمواجهة تنظيم "داعش" والتعاون مع كل الجهود الدولية والإقليمية والمحلية لمحاربة الجماعات المتشددة.وأيد الوزراء قرار مجلس الأمن الدولي ، والذي يطالب الدول الأعضاء بالتحرك لوقف تدفق الدعم اللوجستي والعسكري والمالي للمتطرفين في العراق وسوريا[1].

جدد مجلس جامعة الدول العربية في ختام اجتماعه الطارئ على مستوى وزراء الخارجية إدانته للأفعال التى يرتكبها تنظيمى"داعش" و"جبهة النصرة" وكل المنظمات المرتبطة بتنظيم القاعدة والجماعات والمنظمات الإرهابية.وأكد المجلس في قراره حول "صيانة الأمن القومي العربي ومكافحة الإرهاب" أن الإرهاب والممارسات الإرهابية التي يرتكبها تنظيم "داعش" و"جبهة النصرة" والمنظمات الإرهابية الأخرى لا يجب ربطها بأى ديانة أو جنسية أو بحضارة بعينها.

وعبر المجلس عن تضامنه الكامل ودعمه للشعوب العربية التي يهددها خطر الإرهاب وعلى نحو خاص الشعب السوري والعراقي والليبي منبهًا إلى عزمه الثابت لمواجهة الإرهاب وهزيمة مشروعه التدميري.

1 http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/iraq/2014/09/07/

كما طلب المجلس من الأمانة العامة إدراج موضوع صيانة الأمن القومي العربي ومكافحة الإرهاب على مشروع جدول أعمال الدورة ١٤٣ لمجلس الجامعة العربية وأخذ علمًا بالدراسة التحليلية لظاهرة الإرهاب وأثرها على الأمن القومي العربي التي أعدها الأمين العام للجامعة العربية.

وطالب المجلس الدول العربية بتقديم اقتراحاتها حول مواجهة الإرهاب وتوصياتها لتفعيل معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي العربي وملاحقاتها، وإيجاد الآليات والأجهزة التي تكفل تطبيق بنود المعاهدة، وتقديم هذه المقترحات إلى الأمانة العامة للجامعة العربية[1].وهنا تطرح التساؤلات أيضاً حول الدور الذي لعبته المنظمتان في الحملة الأولى على الإرهاب وما كانت جدوى تدخلهما في حين توسعت رقعت انتشار الأفكار المتطرفة وتأثيراتها وهذا يبين أنهما لم تقوما بالدور المطلوب منهما على صعيد المواجهة.

-منظمة المؤتمر الإسلامي والتحالف الإسلامي لمكافحة داعش

بتاريخ ١٥ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٥، أعلنت السعودية عن إنشاء تحالف إسلامي عسكري بقيادتها يتشكل من ٣٤ دولة لمحاربة ما يسمى الإرهاب في مناطق مختلفة بالعالم الإسلامي، وأنيط بهذا التحالف -الذي وصل لاحقا عدد أعضائه إلى ٣٩- قيادة العمليات وتنسيقها، انطلاقا من مقره في الرياض.

وجاء التحالف الإسلامي "انطلاقًا من أحكام اتفاقية منظمة التعاون الإسلامي لمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره، والقضاء على أهدافه ومسبباته، وأداءً لواجب حماية الأمة من شرور كل الجماعات والتنظيمات الإرهابية المسلحة، مهما كان مذهبها وتسميتها، والتي تعيث في الأرض قتلا وفسادًا، وتهدف إلى ترويع الآمنين".

ويعمل التحالف -وفق ما أعلنه من أهداف- على تطوير البرامج والآليات اللازمة لدعم محاربة الإرهاب، ووضع الترتيبات المناسبة للتنسيق مع الدول والجهات الدولية في سبيل خدمة المجهود الدولي لمكافحة الإرهاب وحفظ السلم والأمن الدوليين.

1 http://www.shaam.org٢٠١٥-١-١٥

وتستضيف الرياض مركز عمليات مشتركة "لتنسيق ودعم العمليات العسكرية لمحاربة الإرهاب وتطوير البرامج والآليات اللازمة لدعم تلك الجهود".

ومن الدول المشاركة : المملكة العربية السعودية، قطر، الأردن، الإمارات، باكستان، البحرين، بنغلاديش، بنين، تركيا، تشاد، توغو، تونس، جيبوتي، السنغال، السودان، سيراليون، الصومال، الغابون، غينيا، فلسطين، جزر القمر، ساحل العاج، الكويت، لبنان، ليبيا، المالديف، مالي، ماليزيا، مصر، المغرب، موريتانيا، النيجر، نيجيريا، اليمن.

كما أشار البيان إلى وجود عشر دول إسلامية أخرى –بينها إندونيسيا -أبدت تأييدها هذا التحالف.

وكشف الأمير محمد بن سلمان ولي ولي العهد السعودي وزير الدفاع أن التحالف الجديد لا يستهدف تنظيم الدولة الإسلامية فقط، بل سيحارب الظاهرة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي!.وأن التحالف الجديد سيقوم بالتنسيق مع جميع المنظمات الدولية ومع الدول المهمة في العالم. وأن التحالف سينسق الجهود لمحاربة الإرهاب في العراق وسوريا وليبيا ومصر وأفغانستان وإن العمليات في سوريا والعراق ستتم "بالتنسيق مع الشرعية في هذا المكان والمجتمع الدولي."وبالإضافة إلى العمل العسكري، سيحارب التحالف الإسلامي "الإرهاب" فكريا وإعلاميا[1].

كما تقرر تشكيل تحالف عسكري لمحاربة الإرهاب بقيادة السعودية، وتأسيسي مركز عمليات مشتركة في الرياض لتنسيق ودعم العمليات العسكرية لمحاربة الإرهاب ولتطوير البرامج والآليات اللازمة لدعم تلك الجهود.

وأكد البيان أن "الإرهاب وجرائمه الوحشية من إفساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل المحرم شرعاً يشكل انتهاكاً خطيراً لكرامة الإنسان وحقوقه، ولا سيما الحق في الحياة والحق في الأمن، ويعرَض مصالح الدول والمجتمعات للخطر ويهدد استقرارها، ولا يمكن تبرير أعمال الإفساد والإرهاب بحال من الأحوال، ومن ثم فينبغي محاربتها بكافة الوسائل، والتعاضد في القضاء عليها لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى".

واعتبر أن تشكيل التحالف يأتي "تأكيداً على مبادئ وأهداف ميثاق منظمة التعاون الإسلامي التي تدعو الدول الأعضاء إلى التعاون لمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره، وترفض كل مبرر أو عذر

1 التحالف الإسلامي لمحاربة داعش http://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2015/12/15

للإرهاب، وتحقيقاً للتكامل ورص الصفوف وتوحيد الجهود لمكافحة الإرهاب الذي يهتك حرمة النفس المعصومة ويهدد الأمن والسلام الإقليمي والدولي، ويشكل خطراً على المصالح الحيوية للأمة، ويخل بنظام التعايش فيها".

كما ويأتي "التزاماً بالأحكام الواردة في ميثاق الأمم المتحدة وميثاق منظمة التعاون الإسلامي والمواثيق الدولية الأخرى الرامية إلى القضاء على الإرهاب، وتأكيداً على حق الدول في الدفاع عن النفس وفقاً لمقاصد ومبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وانطلاقاً من أحكام اتفاقية منظمة التعاون الإسلامي لمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره والقضاء على أهدافه ومسبباته، وأداءً لواجب حماية الأمة من شرور كل الجماعات والتنظيمات الإرهابية المسلحة أيا كان مذهبها وتسميتها والتي تعيث في الأرض قتلاً وفساداً، وتهدف إلى ترويع الآمنين"[1].هذا التحالف أعاد الصيغ الموجودة في التحالف الذي تقوده واشنطن، والأهداف التي عبرت عنها قرارات مجلس الأمن، كما والقيم والأهداف التي نادت بها كل من جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتر الإسلامي، لكن تبقى العبرة في التنفيذ، فحتى الآن لم يظهر لهذا التحالف أي أثر فعلي على أرض الواقع، كما أن مروحة الأهداف التي وضعها على كافة الصعد لم يبدأ تحقيق أي منها على مما يطرح التساؤل حول جدوى هذا التحالف والهدف منه؟.

٢- دورالمجتمع الدولي وطبيعة التحالف

أثار عدم إعلان الحرب على داعش في اعقاب اقامة الدولة الإسلامية مباشرة تساؤلات حول أسباب تراخي المجتمع الدولي وعلى رأسه القوة الأكبر التي تقود النظام العالمي وهي الولايات المتحدة الأميركية. ففي حين أعلنت داعش عن قيام دولة الخلافة بتاريخ (٢٠١٤/٦/٢٩)، فإن إعلان الحرب عليها وتشكيل تحالف بقيادة واشنطن جاء في أيلول٢٠١٤، أي بعد نحو شهرين من قيام دولة داعش.

قبل اعلان الحرب على داعش اقتصر تحرك واشنطن منذ بداية صيف ٢٠١٤، على عمليات استطلاع باستعمال طائرات بدون طيار.في ٧ آب ٢٠١٤، توجه الرئيس الأمريكي باراك أوباما بكلمة للشعب، وصف فيه الاعتداءات العنيفة الموجهة ضد اليزيديين، وقال أنه من الضروري تدخل القوات الأميركية. وقال أن هذه العملية تهدف لحماية المواطنين الأمريكيين في المنطقة إضافة إلى الأقلية اليزيدية، إلى جانب

1 http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/12/15/islamic-coalition-isis-saudi-arabia

وقف تقدم المسلحين إلى أربيل، عاصمة كردستان العراق. في ٨ آب ، بدأت قوات جوية أميركية بعمليات قصف محددة لبعض الأهداف.

عندما وصل خطر داعش إلى حدود أربيل المنطقة الحيوية بالنسبة لواشنطن والغرب عموماً أنشئ تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، ضم أكثر من عشرين دولة، وهدف لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية، ووقف تقدمه في العراق وسوريا بعدما سيطر التنظيم على مساحات شاسعة في البلدين.وفي ١٠ أيلول ٢٠١٤، أعلن أوباما أنه أوعز ببدء شن الغارات في سوريا دون انتظار موافقة الكونغرس، وأمر بتكثيف الغارات في العراق.

يوم ١٩ سبتمبر/أيلول، دخلت فرنسا على خط المواجهة كثاني دولة تشارك في الحملة بتنفيذها عدة ضربات جوية ضد تنظيم الدولة، وكذلك أرسلت قوات خاصة إلى كردستان العراق لتدريب القوات الكردستانية على استعمال السلاح الذي أرسلته.

ويوم ٢٣ سبتمبر/أيلول، شنت كل من الولايات المتحدة والبحرين والأردن وقطر والسعودية والإمارات أولى غاراتها ضد تنظيم الدولة في سوريا.ثم ازداد عدد دول التحالف حتى بلغ نحو عشرين، منها من تدخل في العراق وسوريا، وأخرى اكتفت بسوريا فقط، أو بالعراق فقط، وتنوعت أيضا أشكال التدخل، بين الغارات وإرسال قوات عسكرية للتدريب وتقديم النصح، والدعم اللوجستي.

اتفقت جميع الدول المشاركة بالتحالف على عدم إرسال قوات مقاتلة على الأرض، والاكتفاء فقط بتدريب وتسليح الجيش العراقي و"المعارضة السورية "المعتدلة" – وفق التصنيف الأميركي– والقوات الكردية.

اجتماع جدة(١١ سبتمبر/أيلول ٢٠١٤)

ومن أبرز الاجتماعات التي عقدتها دول التحالف كان اجتماع جدة يوم ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠١٤ على مستوى وزراء الخارجية، حيث اتفقت الولايات المتحدة، والسعودية، ومصر، والعراق، والأردن، ولبنان، وقطر، والكويت، والبحرين، والإمارات، وسلطنة عُمان، على محاربة تنظيم الدولة، بما في ذلك العمل على وقف تدفق الأموال والمقاتلين إلى التنظيم، وعلى "إعادة بناء المجتمعات التي روعها التنظيم بأعماله الوحشية" كما جاء في وثيقة الاتفاق.ورغم حضور تركيا الاجتماعات ومشاركتها في النقاشات التي سبقت الإعلان عن وثيقة الاتفاق المعلن، فإن وزير خارجيتها امتنع عن التوقيع على الوثيقة.

اجتماع قاعدة أندروز الجوية الأميركية قرب واشنطن (١٤ أكتوبر/تشرين الأول)

ويوم ١٤ أكتوبر/تشرين الأول، عقد اجتماع حضره القادة العسكريون بالدول المشاركة في التحالف الدولي، وهي (أميركا، أستراليا، بلجيكا، كندا، الدانمارك، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، نيوزيلندا، إسبانيا، بريطانيا، البحرين، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، قطر، السعودية، الإمارات، إضافة إلى تركيا) في قاعدة أندروز الجوية الأميركية قرب واشنطن تلبية لدعوة من رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة مارتن ديمبسي[1].

القرارات، والبيانات، والتصريحات العربية لم تتضمن إجراءات واضحة ومحددة إلا في مرحلة لاحقة، مع تكثيف الجهود الغربية لحشد موقف إقليمي مساند للتدخل العسكري الخارجي. فقد عقد اجتماع الرياض (٣٠ آب/أغسطس) بحضور السعودية، ومصر، والأردن، وقطر، والإمارات. وتبع ذلك قرار من مجلس وزراء الخارجية العرب (٧ أيلول/سبتمبر) يدين "داعش"، ويدعو للانضمام لاتفاقيات محاربة الإرهاب، والتعاون الأمني والقضائي، وتكثيف تبادل المعلومات، ووضع خطط وطنية وإقليمية للوقاية من الإرهاب، والتعاون مع الجهود الدولية، والإقليمية، والمحلية لمحاربة الجماعات المتشددة. ولعل ذلك هو ما قد دفع الأمين العام للجامعة العربية (٧ سبتمبر) إلى حث الدول العربية علي مواجهة "داعش" عسكريا وسياسيا، حيث طالب بقرار واضح وحاسم بمواجهة شاملة مع "هذه الجماعات الإرهابية". وأشار إلى أن "داعش" تمثل أحد التحديات التي تهزَ العالم العربي، والتي لم تستطع الجامعة العربية مواجهتها. كما أكد الوزراء العرب قرار مجلس الأمن ٢١٧٠ (والذي كان قد صدر يوم ١٥ أغسطس). ومرة أخرى، نلاحظ ضعف تحليل التهديد، وعدم تحديد إجراءات رد الفعل، والاكتفاء بصيغ عامة وخطوات غير مؤثرة لا تتضمن أي إطار زمني، مع غياب آليات المتابعة والتنسيق.

مؤتمر باريس(١٥ سبتمبر حول السلام والأمن في العراق)

عقد "المؤتمر الدولي حول السلام والأمن في العراق" في باريس يوم ١٥ سبتمبر بحضور نحو ٣٠ دولة، بما في ذلك الولايات المتحدة، وروسيا، والصين، واليابان، ومعها عدد من دول الناتو، والاتحاد الأوروبي (بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا، وهولندا، والنرويج، والدنمارك، وبلجيكا، وتشيك، وكندا، وتركيا) مع عدد من الدول العربية (دول مجلس التعاون، ومصر، والعراق، والأردن، ولبنان)، بالإضافة للأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية. وأول ما يلاحظ علي الدول المشتركة هو غياب

1 http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/1/ اما هو لتحالف الدولي لمحاربة الدولة الإسلامية ٦

إيران التي كانت باريس راغبة في حضورها، حيث كانت الاعتراضات السعودية، وربما الأمريكية، حائلا دون تحقيق الرغبة الفرنسية. كما يلاحظ غياب سوريا التي أبدت غضبها لاستبعادها من المؤتمر. ورغم عقد المؤتمر خارج نطاق الأمم المتحدة، فإنه كان يمثل خطوة مهمة في اتجاه تدويل عملية مواجهة "داعش" بحضور روسي – صيني.

وتضمن الإعلان الصادر عن مؤتمر باريس اعتبار "داعش" تهديدا للمجتمع الدولي، وإدانة أعمالها التي قد تصل لجرائم ضد الإنسانية، وبالتالي التمسك بمحاسبة الجناة أمام العدالة. وجدد الإعلان الحاجة العاجلة لإخراج "داعش" من العراق، والاتفاق على تقديم الدعم العسكري لحكومة بغداد، وزيادة حجم المعونة الإنسانية.

ورغم مشاركة تركيا في مؤتمر باريس، فإنها ظلت على تحفُظها من الانضمام للتحالف.

وقد اعترض رئيس الوزراء العراقي على قيام الدول العربية بتوجيه ضربات جوية "لداعش" داخل العراق، كما رفض قبول قوات برية لتحارب على الأرض العراقية.

وتبلور الموقف المصري في الامتناع عن المشاركة العسكرية في القتال ضد "داعش"، وتأكيد ضرورة المواجهة الشاملة للإرهاب في كل مكان لوجود ارتباطات عضوية بين الحركات الإرهابية في المنطقة، مع شرح لوسائل مواجهة الإرهاب فكريا، وإعلامياً، واقتصادياً...[1].

روسيا قامت منفردة خارج إطار الجهود الأميركية والأوروبية، والعربية، بالتدخل ومحاربة داعش من خلال ارسال خبراء روس والقيام بهجمات عسكرية جوية كان لها أثر واضح في الإسهام الفعلي في مواجهة داعش وتقليص مساحه انتشارها.

أما إيران فهي أيضاً قامت بمواجهة الدولة الإسلامية في العراق وسوريا على أراضي البلدين، بشكل مباشر عبر إرسال خبراء عسكريين، وبشكل غير مباشر عبر دعم حزب الله اللبناني في محاربة داعش عسكرياً في سوريا، وحزب الله العراقي في محاربة التنظيم في العراق وكان لدورها أيضاً إسهامات في تحقيق انتصارات ميدانية أسهمت في الحد من انتشار التنظيم وتقليص مساحة سيطرته.

[1] محمد أنيس سالم، الدول العربية في مواجهة داعش، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام ، القاهرة ،العدد ١٩٩، أيار ٢٠١٦.

لكن ومنذ إعلان الحرب على الدولة الإسلامية، وعلى الرغم من كافة المؤتمرات والإجتماعات التنظيمية والدولية، فإن الواقع الراهن يبين عدم فعالية جميع هذه التحركات بالشكل المطلوب حتى اليوم، فما هو الواقع الراهن؟، وما المطلوب لمواجهة ظاهرة التكفير ومشاريعها؟.

فقرة ثانية: النتائج الراهنة للحرب على داعش

إن الحرب التي أعلنت على داعش وبعد مرور سنتين عليها ، لم يكن لها نتائج ملموسة على مستوى القضاء على مشروع الدولة التكفيرية.

لقد استندت الولايات المتحدة بداية إلى القانون الدولي وتمكنت من خلال استصدار قرارات مرتبطة بعضها يؤكد مضامين أخرى في مجلس الأمن الدولي كما ذكرنا سابقاً من ضمنها السماح بالحجز على الأموال. وفق القرار ١٣٧٣، الذي أكد في ديباجيته أن الإرهاب الدولي يعد تهديداً للسلم والأمن الدوليين، والحق الفردي والجماعي في الدفاع عن النفس، المقرر في المادة (٥١) من الميثاق، وتكرر التأكيد عليه في القرار ١٣٦٨ وأوضح القرار أنه صدر في إطار الفصل السابع من الميثاق، تضمن القرار عدداً من الإلتزامات على الدول الأعضاء، تتعلق بتمويل الإعمال الإرهابية. وعلى الرغم من أن الرقابة على الأموال وحجزها كان أول الخطوات التي اتخذتها الإدارة الأميركية في ظل القانون الدولي أولاً ثم القوانين الداخلية، فإن الدولة الإسلامية لا تزال قائمة وتستغل الموارد التي تسيطر عليها ولم يتم القضاء عليها أو حتى التضييق على مواردها.

انعكاسات الحرب على الإرهاب على العالم الإسلامي

شهد الفكر التكفيري محطات عدة إلى أن أُعلن كشعار واضح وعلى الملأ، وقد شكل الحراك العربي الذي عرف "بالربيع العربي" بيئة ملائمة لخروج المشاريع ذات الطابع الإسلامي بكافة أشكالها سلمية وعنفية إلى حيّز الوجود. وكان أبرز وأقوى تلك التجارب المشروع التكفيري. فالمشاريع الأخرى تراجعت

وتلاشت ووصلت السلطة ثم خسرتها، بينما المشروع التكفيري هو الوحيد الذي تمكّن من خلق حيّز جغرافي أعلنه كدولة تحت سيطرته الكاملة.

إزاء هذا الواقع كانت الحرب الدولية الثانية بعد الحرب على الإرهاب،- كحال الحرب الأولى جاءت الثانية عسكرية-، وفي حين تمثلت الأولى بإحتلال بلدين هما أفغانستان والعراق، فإن الحملة الثانية في استراتيجيتها الأولى المعلنة لم تصل حتى الآن إلى حدَ النزول العسكري المباشر، بل تّم الإكتفاء بتوجيه ضربات عسكرية ضد الجماعات المسلحة في العراق وسوريا. وإذا كانت الحرب الأولى خاضتها الولايات المتحدة الأميركية على خلفية استهدافها بما عرف بأحداث ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١، وأعلنتها مباشرة عقب الهجمات، فإن الحرب الراهنة لم تعلن إلا بعد مرور أشهر على إعلان قيام "الدولة الإسلامية" وهذا يبرز أن هذه الحملة أنطلقت من أعتبارات لا تتعلق بالقضاء على دولة التكفيريين وإلا كان إعلانها تبع قيام تلك الدولة مباشرة.

انتظرت الولايات المتحدة حتى أصبحت أربيل مهددة، بالسقوط بأيدي "الدولة الإسلامية" لتأخذ قرار التدخل العسكري في آب / أغسطس... لكن قبل سبعة شهور فقط من ذلك كان الرئيس أوباما لا يزال يصف تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام بأنه كناية عن مجموعة من اللاعبين الجامعيين "المبتدئين" في كرة السلة..."[١] .

إن عدم إعلان الحرب على داعش، ولاحقاً عدم إعلان الحرب للقضاء على دولتها، حين قامت، هو دليل كافٍ على أن التعاطي الدولي مع هذه الظواهر ليس جدياً، ولا ينطلق من أسس حفظ السلم والأمن وتحقيق العدالة ومنع العدوان، بل هو مرتبط في الكثير من أوجهه بتحقيق المصالح الخاصة بالدول. وربما لو لم يكن النفط مورداً عالمياً رئيسياً وتشكل منطقتنا أحد أكبر أماكن وجوده وإنتاجه، لما حرك العالم ساكناً ولو أنتشرت النزاعات الداخلية على مسافة الشرق الأوسط كلّه وصارت المنطقة امبراطورية للجماعات التكفيرية.

اقتصرت الحرب على داعش على الضربات العسكرية من قبل التحالف الذي تقوده واشنطن، لكنها في الوقت نفسة تحولت إلى ساحة صراع مباشر بين قوى دولية وإقليمية وداخلية ويبدو ذلك جلياً في المواجهات العسكرية القائمة في سوريا التي تشكل أحد ركيزتي الدولة الإسلامية. فهناك تدخل روسي

[١] عبد الباري عطوان، **الدولة الإسلامية الجذور، التوحش، المستقبل**، دار الساقي، بيروت ٢٠١٥، ص ٢٩.

عسكري بري وجوي وكذلك تدخل لبلدان وقوى عربية واسلامية على رأسها القوى المؤثرة مثل إيران وتركيا والسعودية.

شكلت الحملة على داعش مظهراً جديداً من مظاهر العنف والحرب والنزاع، تداخلت في ظلها العوامل المختلفة . أما فيما خص الدول الإسلامية، فإنها في غالبيتها أيدت مكافحة الإرهاب، غير أن قلة منها شاركت في الحملة العسكرية وذلك يعود إلى عدة أسباب تتعلق بالأوضاع الدولية بأوضاع العالم الإسلامي دولاً وشعوباً ومنظمات.

لقد بيَن إعلان الحرب على داعش تداعيات دولية، ومحلية، كبيرة أسهمت في إزدياد ضعف الأمن الإسلامي، وهي لم تؤدِ إلى الاستقرار الأمني في كل من البلدين الذين استهدفا العراق – سوريا.

إنّ النظر إلى طبيعة الحرب التي أعلنت على الدولة الإسلامية، بيَن مدى عدم جديّتها، فهي أتت متأخرة، و مقتصرة على توجيه بعض الضربات العسكرية وتقديم المشورة!. فهل أن مواجهة جماعات تكفيرية، تلغي كل من يختلف عنها، وتوجب قتله، وتنتشر عقائدياً في كل أقطار المعمورة، ولها أسسها وبيئاتها العقائدية، وهي أسست مشروعاً لدولتها وتستقطب أناساً من كل البلدان والمجتمعات، يكون بتوجيه ضربات عسكرية، ومحدودة!.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية هل الحملة العسكرية تهدف فعلاً للقضاء على المشروع التكفيري بظل إستمرار سيطرة دولته على موارد نفطية تستثمرها وتتمول منها. فلماذا لم يتم ضرب موارد هذه الدولة. ولماذا لا يزال التسليح والدعم المالي متوفراً عبر حلفاء لدول التحالف "المحارب للدولة الإسلامية"، كما أن السؤال المحوري والأهم برأينا يرتبط بالمنبع العقائدي، فما هي سبل المواجهة المطلوبة على هذا الصعيد، وهل من خطوات يمكن البناء عليها؟.

المبحث الثاني: أليات المواجهة المطلوبة

عمدت الولايات المتحدة الاميركية ومن ورائها دول في أوروبا الغربية إلى تسويق الاسلام – بالتزامن مع ربطه بالارهاب –، كفاعل سلبي في العلاقات الدولية يمكن جعله خلفاً للعدو اليساري الآفل. هذا التوجه الغربي تزامن مع تصاعد العمليات الارهابية التي قام بتنفيذها شباب مسلمون في العالم الاسلامي وخارجه، مروراً بأحداث ١١ أيلول، ووصولاً إلى خلافة داعش،" الدولة الاسلامية". فهذه العمليات نجم عنها نتائج كثيرة وكانت ابرز تجلياتها اعلان "حربين" ضد الفكر التكفيري ومشاريعه، الأولى تمثلت بالحرب على الارهاب التي أعلنت عام ٢٠٠١، والثانية الحرب على داعش مؤخراً. لم تقدم الحملتان العسكريتان الأولى والثانية حلاً لظاهرة التكفير، ولم تتمكنا من القضاء على مشاريعها، ومن هنا فإننا نعتبر أن المطلوب ليس المواجهة العسكرية فقط للقضاء على هذه الظاهرة.

فإذا كانت الحملة العسكرية الأولى ساهمت في القضاء على دولة طالبان في أفغانستان، إلا أنها لم تحقق القضاء على طالبان كحركة والقاعدة كتنظيم، لا بل أن القاعدة ولدَت تنظيم داعش. وهذا يعني أنَ المواجهة العسكرية قد تتمكن من إنهاء المشروع مرحلياً كما حدث في أفغانستان، لكنها لن تحول دون قيام مشاريع جديدة طالما أن الأطر الفكرية المغذية للظاهرة لم تتم مواجهتها.

الفقرة الأولى : تحديد الآليات المطلوبة

إذا ما نظرنا إلى واقع ظاهرة التكفير المنتشرة اليوم، والتي تعود جذورها إلى عدد من الفقهاء و المفكرين المسلمين، فإننا نجدها متطابقةً مع مفهوم العصبية الآنف الذكر، حيث تمكّنت بعض الجماعات التي نشأت وترعرت ضمن إطار الفكر المتطرف ووجدت لها بيئة ملائمة في ظّل المتغيرات التي شهدها القرن المنصرم، فكانت محكومة بالعصبية التي نمت في ظلها ظاهرة التكفير.

في المحصلة يمكن القول بأن الرؤيا الغربية فكراً وسياسات عملت على تعويم العالم الإسلامي كمحور للصراع الجديد الذي تتطلبه متغيرات العلاقات الدولية، فهذه العلاقات تحتاج إلى صراع مستمر يشرعن الأنظمة، ويولّد منظمات وتحالفات، ويمّكن القوي من إحكام سيطرته على المسرح الدولي، وجاء الفكر التعصّبي التكفيري المنغلق، ليساعد الغرب في توجيه بوصلة ادارة العالم بحسب مصالحه وفي الاتجاه الذي يريد.

وإذا كانت الحرب الباردة قد انتهت وأنهت معها خطر المشروع الشيوعي من بوابة أفغانستان، فإن تلك الدولة نفسها ستشكل بوابة منطلقات جديدة للصراع الدولي خلال بدايات القرن الحادي والعشرين[1]. والذي أفرز لاحقاً المشروع التكفيري. لقد وجه هنري كسينجر بوصلة الحراك الأميركي نحو أفغانستان

[1] العالم الإسلامي ومتغيرات العلاقات الدولية بعدة أحداث ١١ أتيلول العام ٢٠٠١، أطروحة دكتوراة ، إشراف د. عدنان السيد حسين، إعداد علي شكر، الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٥، ص ٧٤.

قبل حدوث هجمات ١١ أيلول وذلك حينما اعتبر أنه قبل ١١ أيلول كانت جميع الإشارات تدل على أنّ أفغانستان أصبحت التهديد الرئيسي للاستقرار الاقليمي... وازدياد عمليات الجماعات الارهابية أيقظ القوى الغربية على أنّ الأزمات أضحت قائمة[١].

أولاً: الإنعكاسات على المستوى الدولي

لا يمكن النظر إلى مشاريع مواجهة التكفير، المنبثق عن التطّرف، والمرتبط بالإرهاب، إلا بسياق العلاقات الدولية. حيث أن هذه الظاهرة تعتبر اليوم المحرك الأول لهذه العلاقات، فهي التي صارت تتحكم بقسم كبير من المواجهات العسكرية سواءً على المستوى الدولي والإقليمي، أم على مستوى النزاعات الداخلية. فإذا ما رصدنا الحملات الدولية منذ نهاية الحرب الباردة إلى اليوم، فإننا نجدها ارتبطت بقسم كبير منها بمحاربة الإرهاب القائم على التطرف الديني التكفيري.

فالولايات المتحدة خاضت بعد إعلان قيام نظام عالمي جديد حربين طويلتين، الأولى في أفغانستان عام ٢٠٠١، والثانية في العراق عام ٢٠٠٣.الأولى كانت ضد التكفير بشكل أو بأخر، والثانية جاءت بداية بحجة أسلحة الدمار الشامل، ولم تلبث أن انتهت حتى تجددت هذه المرة ضد التكفير بشكل مباشر، كما تبعها تدخل عسكري للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها في العراق سوريا تحت هذا العنوان أيضاً.

وهنا نرى كيف تصاعدت الهيمنة الأميركية بشكل كبير، طارحة مفاهيم الحرب الإستباقية، والوقائية، وحماية حقوق الإنسان، ونشر الديمقراطية، وما إلى هناك من مفاهيم شكلت قنوات سطوتها وتدخلاتها.وفي العام ٢٠٠٨ وبظل الإفراط الأميركي بالتدخل الخارجي وزيادة الأعباء على كاهل الدولة الأميركية، تعرضت ومعها تعرض العالم لأزمة إقتصادية.

---

[١] هنري كسنجر، ، **الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (الاردن)، ١٩٩٥، ص ٥٢٦-٥٢٧.

كانت الولايات المتحدة من أكثر الدول تضرراً بسبب تلك الأزمة. وشهد عجز الموازنة الأميركي إرتفاعاً كبيراً منذ الأزمة المالية العالمية سنة ٢٠٠٨، وكان للأزمة السياسية الناجمة عن كيفية التعامل معه وقع كبير على النقاش الأمريكي بشأن الإتفاق العسكري وفي عام ٢٠١١ فرض قانون ضبط الموازنة الناتج الذي صدق عليه في آب ٢٠١١ مجموعة من أسقف الإتفاق التي ستؤدي في العشر سنوات التالية ٢٠١٢-٢٠٢١ إلى تخفيضات إجمالية تبلغ ٩١٧ مليار دولار عن النفقات المزمعة في السابق[١].

شكلت الأزمة ضربة للدور الأميركي في الخارج ودفعت واشنطن إلى الإنكفاء، وهنا تبين أن العامل الإقتصادي والعامل العسكري لعبا دوراً كبيراً في تمظهر انكفاء الدور الأميركي من خلال إنسحابها من العراق في العام ٢٠١١، ومن ثم إنسحبت من أفغانستان في العام ٢٠١٣.

كانت حرب العراق مكلفة بالنسبة لأميركا فبحسب دراسة جاء فيها أن واشنطن قبل الغزو كانت قادرة على ردع إيران وكوريا الشمالية ومنعهما من تطوير مشاريعها النووية، وصارت بعد الغزو عاجزة عن ذلك. وكانت واشنطن أيضاً تحظى بإجماع دولي يغطي حربها على أفغانستان وبالتالي يعينها على كسب هذه الحرب لكن غزو العراق أدى إلى خسارتها الحربين معاً.أما كلفة الحرب على العراق فقد وصلت إلى ١٧٠٠ مليار دولار[٢].وهنا يتبين بشكل جلي تفاعل العامل الاقتصادي والعامل العسكري في دفع الدور الأميركي خطوات إلى الوراء بعد ان كان هذان العاملان أسهما في تعويم دور واشنطن في اعقاب هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ عندما اطلقت الحرب على الارهاب.

مع الربيع العربي يتبين مدى انكفاء واشنطن عن التدخل العسكري البري المباشر على عكس ما كان حالها في أفغانستان والعراق، فعلى الرغم مما تشهده ليبيا، وسوريا، واليمن لم تعمد واشنطن إلى شن حملة عسكرية تتضمن مواجهة برية. وهو ما يمثل تحولاً في الدور الخارجي، فبعد أن تدخلت في محطات عديدة سابقة وأرسلت جيوشها إلى أكثر من بلدة، تبدو اليوم حذرة أمام هكذا خطوة على الرغم من المناطق الساخنة في الشرق الأوسط، وعلى الرغم من الأهمية الحيوية التي تشكل هذه المنطقة بالنسبة إليها.

فبمقارنة الدورين الروسي والأمريكي في المشهد العالمي تظهر مؤشرات صعود في الدور الروسي، وتراجع في الدور الأميركي. إلا أن ذلك يعني بالضرورة انكفاء أميركا عن الساحة العالمية واستبدال دورها بالدور الروسي.

---

[١] اليزابيت سكونر،ساج بيرلو فرومان، الاتفاق العسكري الأميركي وازمة موازنة سنة ٢٠١١، مجلة معلومات.م.س.
[٢] صحيفة "الخليج"،٢٠١٣\٣\٢٧..

صحيح أن روسيا صاعدة ولكنها لم تصبح القوة الأعظم، وصحيح أيضاً أن الولايات المتحدة متراجعة لكن هذا لا يعني أنها لم تعد القوة الأكبر.

المرحلة التي تلت تفكك الاتحاد السوفييتي تميزت بالأحادية حتى الآن، وقد أظهرت المؤشرات عناصر صعود الدور الأميركي، وعناصر تراجع الدور الروسي. وكيف تمكنت واشنطن من الحد من سيادة الدول وسعت إلى تقليصها عبر العديد من الخطوات المباشرة وغير المباشرة، وإستمرت بذلك إلى أن جاءت الأزمة الأقتصادية العالمية عام ٢٠٠٨، فتحول موقفها من داع إلى تقليص دور الدولة والحد من سيادتها، إلى الدعوة للعودة إلى دور الدولة التدخلي الفاعل.

ومن ثم مع النظر إلى مؤشرات تراجع الدور الأميركي ومؤشرات تقدم الدور الروسي مؤخراً، فإنه بالإمكان القول أن النظام العالمي عاد ليضبط من خلال أسسه القديمة القائمة على ضرورة احترام سيادة الدولة وتفعيل دورها ودور المنظمات الدولية والإقليمية وعلى رأسها الأمم المتحدة إلى جانب إنشاء منظمات وتكتلات يمكنها كبح جماح النمط الأحادي مثال شنغهاي وبريكس.

لقد تمظهرت المتغيرات الدولية في ظل الحرب على الدولة الإسلامية على الأرض السورية بالتحديد. وحتى الآن لا تبدو ملامح مستقبل النظام واضحة لجهة تحوله إلى الثنائية أو التعددية. لكن المؤكد أن لم يعد بإمكان الولايات المتحدة الإستمرار بالقيادة المتفردة للنظام العالمي. ومهما كان شكل النظام العالمي الجديد فإن روسيا ستكون ركناً محورياً في تشكيله.

هذا على الصعيد الدولي والإقليمي، أما على الصعيد الداخلي، فإن المواجهات مع التكفيرين إنتشرت في العراق وسوريا وليبيا ولبنان ووصلت إلى مصر وهي مرشحة للتوسع في بلدان أخرى، بغضّ النظر عن الجهات التي تواجه التكفيريين سواءً كانت أنظمة رسمية أو جماعات مسلحةً أخرى.

ويؤكد تعاطي الولايات المتحدة منذ مجيء الرئيس باراك أوباما إلى الرئاسة مع الوضع الأفغاني على فشل الحرب، ذلك أن الإدارة الأميركية في عهده كانت أعلنت أن حربها على الإرهاب ستتركز في منطقة أفغانستان – باكستان، وهذا يعني فشل جميع الإستراتيجيات التي أعتمدت في محاربة القاعدة وطالبان والقضاء عليهما". أو لعله من الصواب القول أن هذه الإستراتيجيات لم تكن هادفة فعلياً لمحاربة الإرهاب بل للتواجد العسكري الأميركي المباشر في تلك المنطقة، وفي ظل هذا الوجود عادت أفغانستان لتخضع لسيطرة التكفيريين.

أما في العراق ما أن خرجت القوات الأميركية حتى إنفشلت ظاهرة التكفير وأعلنت عن قيام دولتها. فلو أن الولايات المتحدة كانت خاضت مع حلفائها حملة عسكرية حقيقيةً لضرب الإرهاب هل كان الواقع اليوم يبدو على ما هو عليه ، وهل كان تمكّن التكفيريون من اقامة دولتهم؟.

أعلن الأميركيون إنهاء حربهم في أفغانستان، وكانوا خرجوا عسكرياً من العراق في العام ٢٠١١، لكن إنهاء الحرب في أفغانستان لم يكن نتيجة تحقيق الهدف المعلن ألا وهو القضاء على تنظيم القاعدة وحركة طالبان، بل جاء انطلاقاً من أعتبارات المصلحة الأميركية وكذلك كان الحال في العراق.وفي حين جاء إعلان تلك الحرب على وقع بعض العمليات الإرهابية المتنقلة بين دولة وأخرى، فإن إعلان إنهائها جاء على وقع انتشار الجماعات الإرهابية التكفيرية على مساحة العالم الإسلامي، وإعلانها قيام "دولة الخلافة". هذا يعني أن الحملة الأولى على الإرهاب لم تتمكن من القضاء على الجماعات الإرهابية، بل على العكس من ذلك تمكّنت تلك الجماعات في ظل تلك الحملة من إقامة دولة والسيطرة على موارد مالية ضخمة، وعلى مصادر ثروة مستمرة تتمثل بالسيطرة على العديد من حقول النفط في كل من العراق وسوريا. فهل في سياق هذا الإنفلاش للتكفيرين يمكن الحديث عن حملة جديدة هدفها القضاء على الحركات الإرهابية التكفيرية التفكير؟.

وإذا كانت الحرب على الإرهاب قامت ضد جماعات لم يكن التكفير شعارها ومشروعها العلني،فإن إعلان إنتهاء تلك الحرب جاء في وقت كانت الجماعات التكفيرية خرجت من رحم سابقاتها حاملة التكفير شعاراً "لدولتها وجهادها" بعد أن تمكّنت من خلق حيَز جغرافي خضع لسيطرتها الكاملة.

وفي المحصلة فإن مقاربة النتائج الناجمة عن المواجهة الراهنة تبين أن من يخوض المواجهة الفعلية التي أسهمت في تقليص انتشار دولة داعش يتمثل دولياً وإقليمياً بالدور الإيراني والروسي، في حين لم تؤد التحالفات الغربية والإسلامية إلى نتائج فعلية حتى الآن. وعلى صعيد المكاسب السياسية في نطاق العلاقات الدولية، فإن روسيا تمكنت من خلال الحرب على داعش عبر مشاركتها المباشرة في الحرب في سوريا من العودة إلى ميدان العلاقات الدولية كدولة فاعلة قادرة على التدخل والتغيير في مسار العلاقات الدولية. كما أن إيران وعلى الرغم من منعها من المشاركة في الحرب المعلنة على داعش ودولته، فهي على صعيد الحضور الإقليمي تمكنت من خلال مشاركتها في مواجهة داعش من إثبات حضورها وقدرتها على الفعالية، كما وأنها تمكنت من توقيع إتفاق نووي مع ما عرف بمجموعة (٥+١) ، وشكل هذا الإتفاق قوة دفع لدورها الإقليمي، وأسس لأعادة انفتاحها على المجتمع الدولي.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية هل الحملة العسكرية تهدف فعلاً للقضاء على المشروع التكفيري بظل إستمرار سيطرة دولته على موارد نفطية تستثمرها وتتمول منها. فلماذا لم يتم ضرب موارد هذه الدولة. ولماذا لا يزال التسليح والدعم المالي متوفراً عبر حلفاء لدول التحالف "المحارب للدولة الإسلامية"، كما أن السؤال المحوري والأهم برأينا يرتبط بالمنبع العقائدي، فما هي سبل المواجهة المطلوبة على هذا الصعيد، وهل من خطوات يمكن البناء عليها؟

ثانياً: آليات المواجهة المطلوبة

لمواجهة خطر هذه الجماعات التكفيرية، نحتاج إلى اعداد حملة عسكرية فعلية من جهة، لمواجهة وضرب مشروعها القائم، وإلى العمل بالتوازي معها على اغلاق منابع الفكر التكفيري. وهنا لا بد من العودة إلى الجذور العقائدية والبحث في كيفية معالجة هذه الناحية.وهنا يستحضرنا البحث في محورين الأول هو العمل على وأد هذا الفكر والحد من نموه من خلال ضرب جذوره وهذا العمل مطلوب على مستوى السعودية ومنع نشر الفكر الوهابي المنتج للتطرف التكفيري. أما الثاني فيقوم على نشر الفكر الاسلامي المستنير وهنا يأتي دور مصر من خلال مرجعية الأزهر كمحور للعلوم الدينية ويأتي ضمنا دول المساجد والمدارس الدينية والجامعات وكليات الدراسات الإسلامية وكل ما يحق إلى التعليم والتوجيه الديني بصلة. على أن يترافق ذلك مع العمل على ضبط وسائل الاتصال لاسيما القنوات التفزيونية الفضائية نظراً لما لها من تأثير كبير في هذا المضمار.

فمواجهة ظاهرة التكفير والمشاريع التي تجمعت عنها تتطلب سلسلة من الإجراءات من بينها المواجهة العسكرية، وهناك حملة دولية راهناً تقتصر على الشق العسكري، لكنّه كما ذكرنا يحاط بالكثير من الشكوك نظراً إلى طبيعة العمليات العسكرية ومفاعيلها التي لم تضر بالموارد والمعابر التي تتغذّى منها الدولة الإسلامية وجماعاتها المنتشرة خارج نطاقها. فهي تسيطر على كل حقول النفط الأساسية في سوريا، أما في العراق فتسيطر على حقول نفط صغير ما يعطيها مدخولاً يتراوح بين ثلاثة ملايين وخمسة ملايين دولاراً في اليوم[1]. وهذه الموارد لم تتعرض لأي استهداف يمنع المشروع التكفيري من الاستفادة منها.فحتى اليوم، لم تستهدف العمليات العسكرية الموارد والمعابر لتقطع مصادر التمويل والدعم. فكيف تكون الحرب بظل إبقاء عوامل القوة والإستمرار والصمود متاحة!.

[1] عبد الباري عطوان، **الدولة الإسلامية**، م.س، ص ٣٢.

تفترض المواجهة حرباً شاملة على كافة المستويات ضد هذه الجماعات، وعلى رأسها المواجهة الفكرية والعقائدية. وهنا يجدر العمل ضمن محورين، الأول يتمثل بالعودة للجذور الفكرية لهذا النوع العقائدي والعمل على الحدّ من انتشاره، ما يعني إغلاق كل منافذ نشر هذا الفكر رسمياً بين العامة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه على الرغم من صعوبة منع انتشار هذه الأفكار بظل وسائل الاتصال الحديثة ،غير أنه من الممكن أغلاق الأطر الدعوية التي تعمل تحت عين الأنظمة الرسمية ورعايتها أحياناً، كما أنه يمكن رقابة وسائل الإتصال الحديثة لاسيما القنوات الفضائية والتلفزيونية وشبكة الأنترنت والحد من المواقع التي تنشر هذه الأفكار.

- ضبط الأطر الفكرية

لتحقيق جدوى في مواجهة ظاهرة التكفير علينا العودة إلى المصدر الأساسي للفكر التكفيري والذي نجده انطلق مع المشروع العقائدي لكل من طالبان والقاعدة وهما يعودان في الجذور الفكرية إلى المدرسة الوهابية. وهذه المدرسة بطبيعة الحال تشكل ركيزة أساسية للمملكة العربية السعودية. لقد كان أسامة بن لادن بمثابة الوجه الدعائي للمجاهدين العرب في أفغانستان خلال الثمانينات وقد ظهر في أفلام وثائقية، وكان النظام السعودي يعتبره مثالاً يحتذى به لتشجيع غيره من الشباب على اللحاق به إلى أفغانستان.اليوم وبعد إنقضاء أكثر من عقدين ونصف على إنتهاء الحرب السوفياتية على أفغانستان "ليس غريباً أن تكشف إستطلاعات للرأي أجريت على وسائط التواصل الإجتماعي أن ٩٢% من الشباب يؤيد الدولة الإسلامية ويراها نموذجاً للإسلام الحق وليس مفاجئاً أيضاً أن يرفض "علماء الصحوة" في المملكة العربية السعودية التجاوب مع نداء ... ملك السعودية السابق عبد الله بن عبد العزيز بالتصدي لظاهرة الدولة الإسلامية فكرياً".

وعندما بدأت الثورة السورية... لم يتردد علماء السعودية السلفيون والوهابيون في إطلالاتهم التلفزيونية في تأييد الجهاد في سوريا بهدف إزالة بشار وديكتاتوريته من الأرض... وقد بلغ الأمر أن صحيفة "فايننشال تايمز" شنت هجوماً على السعودية في ٨ آب / أغسطس ٢٠١٤ ملقية اللوم في كل التقدم الذي تحققه الدولة الإسلامية على أسره آل سعود لتصديرها الوهابية والمقاتلين الجهاديين بالجملة وتمويلها للجماعات المتشددة.من هنا فمواجهة ظاهرة التكفير ومشاريعها، لا ّ من أن تكون أحد ركائزها مسألة العمل على تجفيف المنابع من ناحية، وضبط العمل الدعوي من ناحية أخرى.

إنّ تبني الحكم السعودي للتفسير الوهابي للإسلام وإحتضان الإسلام بصيغته المتطرفة والمعتدلة في مواجهة الأنظمة اليسارية والقومية طوال الثمانين عام الماضية، وتسخير الإمبراطورية الإعلامية الجبارة لتحقيق هذا الهدف أثّر بشكل كبير في جيلين أو أكثر من الشباب المسلم في مختلف أنحاء العالم، أتجهوا في معظمهم نحو التشدد، مثلما أنتج جيشاً من العلماء المتشددين، إستغل المنابر الرسمية للترويج لفكره أن تحريم الذهاب إلى الجهاد وإصدار قوانين تحكم بالسجن لحوالي عشرين عاماً لمن يلتحق بالجماعات الجهادية المتشددة لم يمنع الشباب السعودي من الإلتحاق بهذه الجماعات[1]، ومن هنا يجب البدء بالمواجهة العقائدية، فكما كانت السعودية هي المنبع العقائدي العملي للتكفير، يجب أن تكون هي الوجهة الأولى لمكافحة التكفير عبر القضاء على منابر ومدارس هذا الفكر التي نشأت وترعرعت وإنتشرت من أراضيها.

وإذا كانت خطت العائلة السعودية الحاكمة بشخص الملك خطوات ضعيفة تتعلق بمعاقبة المقاتلين، فإنه من الأجدى العمل على إقفال منابر تعبئتهم وتجنيدهم وهذه تكون الخطوة الأولى والأكثر تأثيراً في مجال مواجهة التكفير والحد من تأثيره فكرياً والقضاء على مشاريعه القائمة، وعلى رأسها "الدولة الإسلامية". وهنا كان يجب أن يبرز دور منظمة التعاون الإسلامي التي يمكنها أن تشكل رافعة لنشر الفكر الإسلامي المعتدل وتشكل أداة لمنع الأفكار المتطرفة، كما أنه من الممكن إنشاء محكمة أو جهازاً رقابياً على العمل الدعوي من خلال المنظمة يكون ملزماً لكل الدول الأعضاء، وهذا يسهل على السلطة السعودية من العمل تحت مظلة عمل إسلامي مشترك تحت رعاية المنظمة.

هذا الشق المحوري من المواجهة يستتبع حكماً إنتشار الرقابة على مستوى العالم الإسلامي ككل، وهنا يأتي دور مصر كدولة محورية نظراً لما يمثله الأزهر الشريف كمرجعية إسلامية عليا لها دور رائد في هذا المضمار ويمكنها أن تشكل رافعة في المواجهة المطلوبة في المجال الدعوي بوسائله المختلفة وهنا لا بد من إستحضار المؤتمر الأخير الذي عقد في الأزهر نظراً لأهميته وما نتج عنه من خطوات.

فللمرة الأولى يدعو الأزهر إلى مؤتمر جامع يشمل جميع المذاهب الإسلامية الرسمية منها وغير الرسمية وطوائف غير إسلامية، حتى أنه سعى لدعوة الأيزيديين، وهذا يدل على مدى الجدية في العمل وملامسة الخطورة التي يعيشها العالم الإسلامي بظل إنفلاش ظاهرة التكفير.

---

[1] عبد الباري عطوان،**الدولة الإسلامية** م. س، ص١٩و ١٣٦ و١٣٨ ١٤٤

فبدعوة من شيخ الأزهر الإمام الأكبر أحمد طيب إنعقد في القاهرة بين ٣ و ٤ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٤ المؤتمر الدولي لمواجهة التطرف، بحضور وفود من ١٢٠ دولة تقدمهم رؤساء المذاهب الإسلامية من مختلف الدول العربية والإسلامية، وعلماء دين من مختلف أنحاء العالم، إضافة إلى رؤساء الكنائس الشرقية، ولا سيما العربية منها، وممثلين عن بعض الطوائف الأخرى التي عانت إجرام الجماعات الإرهابية.

ويعتبر محمد السمّاك أن أحد أوجه مواجهة التكفير تكمن بالإعتراف بأن هناك مشكلة، وهذا لم يكن قائماً، لقد أعترفنا بالمشكلة مؤخراً، ومن خلال المؤتمرات الأخيرة، وحدّدنا إطارها العام. وهذا يشكل نصف الطريق إلى الحل. المواجهة لا تكون عسكرية فقط، بل تكون أيضاً عبر تسفيه المنطق الديني التكفيري الذي تعتمده الجماعات الإرهابية. وهذا بدأ على نطاق واسع وهناك خطوتان في هذا المضمار :

الأولى تتمثل في البيان الذي أصدرته مؤسسة آل البيت في عمان ويسفّه كل مرجع من المراجع الدينية التي تعتمدها داعش.

والثاني صدر عن علماء الأزهر بعد تشكيل لجنة أعتمدت عبارة تصحيح المفاهيم الإسلامية، التي أساءت لها جماعات مثل داعش وغيرها. فعندما تتجرد هذه الحركات من مظلاتها الدينية يصبح إستهدافها على الصعد الأخرى كافة عملية أسهل. المرجعيات الإسلامية وما صدر عنها أصبح ملزماً لها وهي تعهدت بنشره في مجتمعاتها في جميع القارات ... لقد حرص الأزهر على مشاركة الجميع. وفي هذا المؤتمر تمّ التعبير عن موقف قوي صريح وواضح[١]. ويتبين موقف الأزهر الواضح في البيان الختامي الذي سمي "بيان الأزهر العالمي"، حيث نصّت الفقرة الأولى منه على" أن كل الفرق والجماعات المسلحة والميليشيات الطائفية التي إستعملت العنف والإرهاب في وجه أبناء الأمة رافعة زوراً وبهتاناً، رايات دينية، هي جماعات أثمة فكراً وعاصية سلوكاً وليست من الإسلام الصحيح في شيء...

كما جاءت الفقرة السادسة: لقد تعرّض عدد من شباب الأمة ولا يزال إلى عملية غسل الأدمغة من خلال الترويج لأفهام مغلوطة لنصوص القرآن والسنة واجتهادات العلماء أفضت إلى الإرهاب، ممّا يوجب على العلماء وأهل الفكر مسؤولية الأخذ بأيدي هؤلاء المغرَر بهم من خلال برامج توجيه ودورات تثقيف تكشف عن الفهم الصحيح للنصوص والمفاهيم، حتى لا يبقوا نهباً لدعاة العنف، ومروّجي التكفير". وفي الفقرة الثامنة كانت مطالبة العلماء والمراجع بالقيام بدورهم وتحمل مسؤولياتهم امام الله والتاريخ.

---

[١] محمد السماك، مقابلة أجرتها مجلة معلومات نشرت في عددها ١٣٤.

إن البيان الصادر عن مؤتمر الأزهر يشكل خارطة طريق إذا ما تم الأخذ بها وإعتمادها لسلوك دعوى ديني عام على مستوى الدعوى داخل العالم الإسلامي وخارجه أينما وجدت جماعات إسلامية فهذا كفيل بمحاصرة مناهج الفكر التكفيري والحؤول دون إنتشاره وتغدية العقول به، ويشكل أحد السبل الرئيسية لمواجهة التكفير. لكن العبرة تكمن في التنفيذ ومن المجدي أن يصار إلى تشكيل هيئة متابعة وتنسيق لمتابعة تنفيذ مقررات المؤتمر نكون بدأنا في المواجهة الفعلية لظاهرة التكفير على المستويين الفكري والميداني. كما أنه مطلوب تبني منظمة المؤتمر الإسلامي لمقررات المؤتمر وإعتمادها لخطة يعمل على تنفيذها.

في المحصلة لمواجهة التكفير ظاهرةً ومشاريعاً، ينبغي العمل ضمن ثلاثة محاور:

الأول يتمثل بالحملة العسكرية الجامعة والهادفة.

والثالثي عقائدي يرتبط بالدور الملقى على عاتق السعودية في الحد من الفكر المتطرف واغلاق منابعه.

والثالث يقوم على نشر الفكر الاسلامي المستنير وهنا المسؤولية تقع على عاتق مصر بالدرجة الأولى ومنظمة التعاون الإسلامي وباقي الدول الإسلامية.

وعندما نسير وفق هذه الأطر فإننا سنتمكن من الحد من تأثير العصبية الدينية السلبية وتحويلها إلى عامل إيجابي، ومنها تبدأ مواجهة المشروع التكفيري بشكل فاعل، إذ أنه بالتمكن من إضعاف العصبية والتطرف الديني تكون مواجهة التكفير القائم على العصبية اتخذت خطوتها الأولى في مسار المواجهة. لقد نجم عن إعلان دولة الخلافة الإسلامية جملة من التعقيدات السياسية، والأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، ولعبت وسائل الإتصال الحديثة دوراً بارزاً في تعميم نموذج الدولة غير الإنساني على مستوى العلاقات الدولة. أما لناحية الرد عليها الذي تمثل بالحملة الدولية للقضاء على تنظيم داعش، فإنه لم يكن على مستوى الخطر النجم عن تداعيات قيام هذه الدولة.

نعيش اليوم في ظل الانعكاسات الناجمة عن قيام الدولة الإسلامية التكفيرية، وقد أسهمت الحرب عليها في خلق تفسَخات اجتماعية على أسس دينية وعرقية تهدد كيانات الدول ، ومستقبل الشعوب والمجتمعات والأمن العالمي .

في ظل ذلك كله يبقى العالم الإسلامي راهنا هو الهدف لتلك الحرب ولو تبدّل التركيز على الجبهات – من العراق إلى سوريا – فتجميد الأموال طال جهات مسلمة، والقوانين التي صدرت في الغرب ، والتعديلات التي تمت لقوانين موجودة استهدفت بشكل فعلي المسلمين ،إلى جانب ان الحملة العسكرية تم توجيهها حتى الآن نحو بلدين من بلدان العالم الإسلامي(العراق – سوريا).

هذا العالم الذي يعيش جملة من المشاكل المتراكمة والمتواصلة في ظل سير العلاقات الدولية وتطوراتها ، يحتاج إلى حلول تجعله قادرا على المساهمة الفاعلة في تحقيق السلم والأمن الدوليين. فمشاكل العالم الإسلامي تتوزع على مستويين داخلي وخارجي، الأول يرتبط بالبنية الإجتماعية، والأنظمة السياسية والمنظمات القائمة، ومستويات التنمية والتخلف ومسار المجتمعين الأهلي والمدني.

أما الثاني فيرتبط بالتدخلات الخارجية في شؤون دوله ومنظماته انطلاقا من مصالح القوى الكبرى ، وهذا الأمر أسهم ولا يزال في تأجيج النزاعات الداخلية والخارجية. وهنا لا بد من التركيز على التداخل الطبيعي الموجود بين العالم الإسلامي كجزء رئيسي من مكونات النظام الدولي، وبين باقي المكونات، وما ينتجه هذا التداخل على مختلف الأصعدة ولا سيما الأمني منها.

من هنا فإن الوضع الذي تعيشه العلاقات الدولية يبين بشكل جلي بأن قانون القوة وحده لا يستطيع التحكم بمسارها بشكل كلي. ومهما عظمت أي قوة دولية ، ومهما علا شأنها ، فإنها غير قادرة على قيادة العالم بشكل منفرد دون إشراك للتنظيم الدولي والإقليمي ، كما أنه لا يمكن قيادة المجتمع الدولي والمؤسسات الدولية والعالمية في ظل تهميش دور القوى الفاعلة ، وحتى من دون الأخذ بالاعتبار القوى الغير فاعلة التي تشكل جزءا من المنظومة الدولية.

وإذا كانت البلدان العربية والإسلامية عاجزة حالياً عن الحد من العامل الخارجي والتمثل بالتدخل في شؤونها، فإنه بإمكانها المبادرة والعمل على تجفيف منابع التكفير فكراً وممارسة وهو شأن يحتاج لتضافر جهود العالم الإسلامي ويمكن القيام به دون الحاجة إلى مساعدة الخارج.خاصة وأن ازدياد التطرف العقائدي في العالم الإسلامي أدى إلى انتشار صورة الإسلام على أنه دين عنف وحرب[1].

[1] Shauki Allam, ***The Idiological Battle Field***,national Library And Archive Press, Cairo,2014,p 4.

الفقرة الثانية: آفاق المستقبل

يشير المشهد الراهن إلى أن رسم معالم مسار العلاقات العلاقات الدولية يتخبط بظل دور مجموعات إرهابية متطرفة وعجز التنظيم الدولي وتنازع دور القوى الرائدة بين واشنطن وموسكو، انطلاقا من تصدُر ظاهرة الإرهاب واجهة الأحداث الدولية، وتحكُمها في متغيراتها الراهنة،.

فالدولة الإسلامية التي تبلور من خلالها مشروع التكفير الإرهابي، صارت ظاهرة أسهمت في تقويض مقومات الأمن العالمي، وهي تؤرق الشعوب وتخضع الجميع لمعطياتها غير الضبوطة بطبيعة الحال. وانطلاقا من طبيعة مكونات هذا النوع من التهديدات يتبين أنه مفتوح على مستوى العالم، يمكن أن يستهدف أية دولة، أو شعب، أو جماعة. لذلك فإن التصدي له يتطلب تضافر الجهود على مختلف المستويات، وفي كافة أنحاء العالم.

وفي ظل تحول العالم الإسلامي إلى ساحة المواجهة الدولية فإن منظماته تبدو معنية أكثر من غيرها من المنظمات الإقليمية بضرورة العمل بشكل فاعل بغية للإسهام في تحويل المجتمعات الإسلامية من بيئة حاضنة لتوليد التطرف والعنف إلى مصدر استقرار وأمن محلياً وعالمياً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك مسؤولية أساسية تقع على عاتق كل من مؤسسة الأزهر بما تمثله من ثقل تراثي ديني يمكنها أن تلعب دوراً ايجابياً على مستوى الدعوة وتظهير صورة الإسلام السمحة، ولا سيما بناءاً على مؤتمر الأزهر الذي تطرقنا إليه سابقاً على أن تتم المواجهة انطلاقاً من:

أولا: إعادة صياغة المفاهيم

يتطلب الواقع الحالي إعادة صياغة المنظومة العربية والإسلامية انطلاقاً مما استجد .بداية لا بد من إعادة صياغة المفاهيم وتحديد غير المحدد منها، بداية يتوجب تعريف الإرهاب، والتركيز على ظاهرة التكفير والبدأ بالحد من انتشارها والقضاء على مشروعها القائم .

فمآسي الحروب نتج عنها توق لنشر السلام، غير أن طبيعة جوهر العلاقات بين الدول القائمة على المصالح التي تتلاقى حيناً وتتباين أحياناً، كثيرة دفعت إلى محاولة فرض تحقيق المصالح بالقوة على حساب القانون الدولي الذي نظم على أساسه التنظيم الدولي والذي عني بتحقيق السلم والأمن من خلال العمل الجماعي والتعاون.

وشهدت السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين تجاوزاً لدور الأمم المتحدة من خلال التدخل الفاضح للولايات المتحدة بالشؤون الأمنية الدولية واستخدامها القوة متجاوزةً الأمم المتحدة ومستندة تارةً إلى تزعمها القوة العالمية، وطوراً إلى الناتو لتستخدمه في العمليات العسكرية.

إن التحالفات التي قامت حتى الآن للقضاء على الدولة التكفيرية لم تحقق أي نتائج، وهذا يعني أنها غير فاعلة ومشتته تتنازعها مصالح الدول فهناك تحالف بقيادة واشنطن، وتحالف آخر بقيادة الرياض، وتحرك روسي أحادي وتدخل تركي وإيراني وقطري وسعودي... فكل هذه المظاهر لا تعبر عن إرادة جامعة للمجتمع الدولي لمواجهة السلفية الجهادية التكفيرية على الصعيد العسكري، فكيف يمكن الحديث عن إمكاية القضاء على مشروعها على المستويات الأخرى في ظل هذه التباينات؟.

ثانياً- الوسائل المساعدة في التخلص من ظاهرة التكفير

تأثير الدولة الإسلامية لم يبق محصوراً ضن نطاقها الجغرافي على أراضي العراق وسوريا خاصة بعد الهجمات التي طالت دولاً إسلامية وأوروبية ، فبات المجتمع الدولي مكشوفاً وعرضة لتداعيات دولة داعش.

كان لوسائل الاتصال الحديثة دور سلبي كبير تجاه العالم الإسلامي خصوصاً بعد قيام الدولة الإسلامية بحيث أسهمت الكثير من القنوات التلفزيونية الفضائية بير في زيادة الفجوة بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين الشعوب الأخرى.

أدت تجربة الدولة الإسلامية ومن قبلها تجربة دولة القاعدة وطالبان في أفغانستان إلى تكوين ثقافة سلبية عن الإسلام والمسلمين في كثير من دول العالم، وعممت مفاهيم بظل عمليات العنف التي نجمت عن

النماذج المذكورة فأضحى مفهوم الإسلام مرتبطاً بالتكفير وبالعنف، والمسلم إرهابيا، والعالم الإسلامي عالم تطرف يرفض الآخر، وبؤرة تضم دولاً تنتج قيماً ومبادىء لا تتلاقى مع القيم السائدة في مجتمعات الغرب، وصار إزاءً لهذه الصورة مصدراً للعنف ولعدم الاستقرار.

وهنا تبدو عملية تحديد المفاهيم الشائعة الاستخدام في هذه المحطة التحولية من محطات تطور العلاقات الدولية ضرورة ملحة لتجنيب البشرية المزيد من المآسي والحروب وانعدام الاستقرار وغياب الأمن.

يجب أن يلعب العالم الإسلامي دوره كجزء من التنظيم الدولي في صياغة الرؤية المسقبلية لتحقيق الإستقرار، ومما لا شك فيه أن الدور المطلوب منه أكبر بكثير من دور أي دولة أو جماعة أخرى.

ان الأفكار الايديولوجية التي تتبعها دوله بما يحتوي من تناقضات، أو من خلال النسيج الاجتماعي المتنوع عرقياً ودينياً في مجتمعات العديد من الدول الإسلامية، عاش العالم الإسلامي مرحلة تخبط حالت دون تمكن من لعب دور نافذ، أو على الأقل مناهضة محاولات السيطرة عليه.

ويعيش العالم اليوم حركة انفتاح واسعة، أسهمت فيها بشكل كبير عملية تطوير وسائل الاتصال، ولما كانت القنوات التلفزيونية الفضائية، وشبكة الإنترنت هما الوسيلتان الأسرع والأكثر انتشاراً بين شعوب العالم، فإنهما تلعبان دوراً رئيسياً في عملية التواصل وتسهمان بشكل فاعل في المواجهة المطلوبة كما أسهمتا في تسويق نموذج الدولة ٱسلامية.

لكن الواقع يفيد أن للتواصل وجهان سلبي وإيجابي، ففي المرحلة الراهنة وما سبقها، طغى الوجه الأول للتواصل على الثاني، بحيث أن القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت أسهمتا سلياً بحيث استخدمتا غالباً للتنافر وليس للتقريب، وللعنف على حساب الأمن.

لم يستفد العالم الإسلامي من قنوات التواصل والاتصال على صعيد تحقيق التواصل الإيجابي مع ما يوجد خارج نطاقه، أو حتى بين دوله.إذا شكل التواصل عاملا سلبيا فيما خص علاقة العالم الإسلامي مع الخارج، وحال عدم استخدام قنواته بشكل سليم على الصعيد الداخلي دون تحقيق تعاون أو تقارب يقوي منعته الداخلية، ويفعِل حضوره على المستوى الدولي والعالمي.

اما فيما خص المنظمات،فإن منظمات العالم الإسلامي –ولا سيما أكبرها المتمثلة بالأزهر وبمنظمة التعاون الإسلامي ، وجامعة الدول العربية–، لا تزال بعيدة عن الدور المطلوب منها القيام به في المرحلة

الراهنة، ولم تلعب حتى اليوم دورا فاعلا يسهم في تمتين أواصر التعاون بين دور العالم الإسلامي، ولم تتمكن من الحد من نمو ظاهرة العنف والأعمال الإرهابية.فقط الأزهر عقد مؤتمراً في كانون الثاني من العام ٢٠١٤ يمكن البناء عليه في الواجهة العقائدية والفكرية ومما جاء في البيان الختامي أن العالم العربي يواجه حالةً غير مسبوقة من التوتر والاضطراب نتيجة ظهور حركات متطرفة تعتمد الإرهاب آداة لتنفيذ مآربها ونصت الفقرة الأولى على أن: "كل الفرق والجماعات المسلحة والميليشيات الطائفية التي استعملت العنف والإرهاب في وجه أبناء الأمة رافعة زوراً وبهتاناً رايات دينية هي جماعات آثمة واصية سلوكاً وليست من الإسلام في شيء"[1]. وهذا يشكل أساساً يمكن البناء عليه، حيث أنه للمرة الأولى يصدر عن أعلى وأكبر مرجعية إسلامية موقف واضح يبين ضلال الجماعات المتطرفة وانحرافها عن المسار الصحيح للدين الإسلامي، وهذا الموقف يمكن أن يكون له تأثير أساسي على توعيه الناس والحد من تأثير الأفكار المتطرفة عليهم، لكن العبرة تكمن في التنفيذ ووضع آليات للمتابعة.

على صعيد الدول ، فإن غالبية الدول الإسلامية دعمت الحرب على الدولة الإسلامية ، غير أن الكثير منها لم تشارك بالحرب العسكرية ، إلى جانب أن طبيعة التعاون تفاوتت بين دولة وأخرى ، وذلك انطلاقا من طبيعة الحرب وإجراءاتها التي ارتكزت إلى المصالح الخاصة على حساب التنظيم الدولي والقانون الدولي، وهي حتى اليوم لا تعمل وفقا لما هو مطلوب ، لكن في حال اعتمدت آلية تعاون أخرى في سياق حملة شاملة بقيادة التنظيم الدولي، فإن تعاون الدول الإسلامية سيكون له أثر بالغ في تحقيق النتائج المتوخاة على صعيد القضاء على مشروع التكفير ودولته.

على هذا النحو تسير أوضاع العالم الإسلامي ، غير أن المطلوب أن يكون هناك تكافئ بين المقومات والدور ، بمعنى أن يلعب العالم الإسلامي دورا يوازي أهميته وإمكاناته.

كما أنه لا يمكن إغفال الحجم البشري والكفاءات التي يخرجها، لكن الواقع يفيد بأن دوره لا يزال هامشيا على مختلف الأصعدة وذلك يعود إلى جملة من الأسباب التي تتوزع على المستوى الشعبي والاجتماعي والسياسي وحتى الثقافي.

المطلوب من المفكرين المسلمين طروحات تتجه نحو التجديد ذلك أن " التجديد في الفكر الإسلامي ملازم لتطور المجتمع، وتقدم الحياة العصرية . وضرورة لمواكبة المتغيرات العالمية على كافة الأصعدة

[1] أحمد الطيب، مؤتمر الأزهر، م س.

والمستويات. ولا يليق بالمسلمين أن يظلوا قابعين في مقاعد المتفرجين يرقبون في سلبية تامة ما يجري حولهم من أحداث في عالم اليوم مرتضين لأنفسهم أن يظلوا مستهلكين لمنتجات العصر وأفكاره "[1].

حتى الآن لا يظهر أفق تغيير أو تبديل في مسألة سيطرة ظاهرة الإرهاب التكفيري راهناً على مسار العلاقات الدولية. وعلى الرغم من شن حملة عسكرية لا تزال الجماعات التكفيرية حاضرة بقوة وفعالية، كما أنه وباعتراف القوى المشاركة في الحرب وعلى رأسها الولايات المتحدة فإن الحملة العسكرية لم تحقق النتائج التي كانت مرجوة.وإذا كنا غير قادرين على التحكم بالمواجهة العسكرية لأنها تخضح لمصالح وإمكانات القوى الكبرى، فإنه بإمكاننا أن نبدأ بالمواجهة من حيث يجب وهي تجفيف منابع الفكر التكفيري وهذا كفيل بالقضاء على المشرع الحالي والحؤول دون قيام مشاريع أخرى في المستقبل، فهل لدى العالم الإسلامي نية حقيقية لهكذا مواجهة دولاً ومنظمات؟حتى الآن لا يظهر ان هناك توجه من هذا القبيل، وهذا يعني اقتصار الأمر على مواجهة عسكرية دولية محدودة لم تحرز تقدماً حقيقياً على مستوى مواجهة المشروع التكفيري. وبالمقارنة مع المواجهة الأولى للإرهاب التي أطلقت عام ٢٠٠١ والتي كانت أشمل نجدها ولدت في سياقها الدولة التكفيرية، من هنا يمكننا القول بأن المواجهة الراهنة كما هي لن تؤدي إلى إلى المزيد من انتشار الفكر التكفيري وتمدد المشروع أو بالحد الدنى عدم التمكن من القضاء عليه.فهل سيتمكن الأزهر انطلاقاً من مقررات مؤتمره وضع آليات تنفيذيه تسهم في القضاء على التكفير ومشاريعة؟.

---

١ د عدنان السيد حسين ، **العلاقات الدولية في الإسلام** ، م. س، ص ٥٠٧.

الخاتمة

حتى الآن أثبتت الحربان على "السلفية الجهادية التكفيرية"عدم جدواها. وبتنا نعيش مرحلةً من الصراع بين قوى ودول ومنظمات متباينة الأهداف وأليات العمل تتفعل ضمن نطاق دعم أو مواجهة مشروع التكفير. لذلك لم تتمكن من القضاء على المشروع التكفيري حتى اليوم والمتمثل بالدولة الإسلامية في سوريا والعراق. هناك حراك دولي لكنه لا يسير ضمن استراتيجية واحدة يرعاها التنظيم الدولي. وهذا سيؤدي في نهاية المطاف إلى عدم التمكن من القضاء على المشروع التكفيري القائم.هذا على صعيد محور الدراسة المتعلق بتفاعلات العلاقات الدولية والتي ترتبط بالمشروع التكفيري وتفاعلاته أكثر مما ترتبط بالفكر التكفيري وبتكوينه كظاهرة.

أما على صعيد المحور المرتبط بالتكفير كظاهرة والمرتبطة ببنية العالم الإسلامي، فإننا انطلاقاً مما صدر عن مؤتمر الأزهر، والأسس التي حددها لمواجهة هذه الظاهرة ومشروعها،نعتبر أن المواجهة الفعلية تبدأ من هنا خاصة وأن مقررات المؤتمر كانت واضحة لجهة وضع هذه الظاهرة، والجماعات التي تعبر عنها، والعقيدة التي تعتنقها، وآليات العمل التي تخرج من خلالها معتقداتها التكفيرية إلى حيَز التنفيذ في إطارها المحدد والذي اعتبره المؤتمر لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة. وهذه المرة الأولى التي توصَف فيها أعلى وأعرق وأكبر مرجعية اسلامية ظاهرة التكفير ومكوناتها وتضعها ضمن إطار محدد لتخرجها من البيئة الإسلامية العامة وتدخلها في حيَز الحالة الخاصة التي لا تعبَر عن التجربة الإسلامية سواءاً الدينية على الصعيد العقائدي، أو السياسية على صعيد مشروع بناء دولة الخلافة الإسلامية. والأمر المهم أيضاً في هذا المجال أن المؤتمر نبذ التكفير.

وهنا تعود إشكالية المواجهة لتطرح انطلاقاً من الواقع الدولي المتعثر في القضاء على مشروع الدولة الإسلامية، ومن عدم تمكن العالم الإسلامي أو أي من مكوناته سواءً دول أو منظمات من تقديم خطوات جريئة وفعالة، وحده الأزهر أقدم على خطوة مهمة، لكن هذه الخطوة اقترت على التوصيف حتى الآن.

وعلى الرغم من ضرورة وجود هذا التوصيف لواقع ظاهرة التكفير ووضع أسس لكيفية مواجهتها، لكن اليات التنفيذ لم توضع بعد.

وهنا نجد أن بداية الحل لهذه الإشكالية تنطلق من دور الأزهر ونقترح هنا عقد مؤتمر ثاني تنفيذي يتابع مقررات وآليات المؤتمر الأول ويحدد أطر عمل معقولة ومنطقية يمكن الإنطلاق منها في مشروع مواجهة الظاهرة والحد من انتشار الفكر السلفي الجهادي التكفيري، وتصويب العمل الديني الدعوي ضمن إطار مستنير . وهذا الأمر معقول ويمكن تنفيذه ولا يوجد عثرات أمامه لكن العبرة تبقى في المبادرة .

قائمة المصادر والمراجع

كتب باللغة العربية

- الأفندي،عبد الوهاب ، الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم الغربي- الحركات الإسلامية النشأة والمدلول وملابسات الواقع، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢.

- إبن خلدون، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(المقدمة) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٨ ٢٠٠٣.

- أولبرايت،مادلين، السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت: سيرة ذاتية، تعريب د,محمد توفيق البجيرمي، شركة الحوار الثقافي، بيروت،٢٠٠٤.

- برو، فيليب، علم الاجتماع السياسي، ترجمة ممد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٩٨، ص ١٠٦.

- بريجينسكي، زبيغنيو، رقعة الشطرنج الكبرى، ترجمة أمل الشرقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان،١٩٩٩.

- الجميَل، سيار الجميل ومجموعة من الباحثين، العرب وتحديات النظام العالمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩.

- السيف، توفيق ، حدود الديمقراطية الدينية، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨.

- السيد حسين ، العلاقات الدولية في الإسلام المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع(مجد)، بيروت، ٢٠٠٦.

- الطيب،أحمد، مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطَرف والإرهاب، (القاهرة، ٣-٤ ديسمبر ٢٠١٤)دار القدس العربي، ٢٠١٥.
- عبيد،محمد كامل، نظرية الدولة، بدون ناشر، بدون مكان، ١٩٩٤.
- عتريسي، طلال ، "حول ظاهرة العنف في المجتمعات الحديثة"، مجلة الغدير ، بيروت، العدد ٤١ شتاء ٢٠٠٨.
- عطوان، عبد الباري، الدولة الإسلامية الجذور، التوحش، المستقبل، دار الساقي، بيروت ٢٠١٥.
- عيسى، عبد الملك محمد عبدالله ، حركات الإسلام السياسي فياليمن، سلسلة أطروحات الدكتوراة،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠.
- فل سكراتون، بإسم (حرب عادلة)، ما وراء ١١ أيلول: مختارات من المعارضة، تحرير فل سكراتون، تعريب د.ابراهيم يحيى الشهابي، شركة الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٤.
- القرضاوي، يوسف، الإسلام والعنف: نظرات تأصيلية ، دار الشروق القاهرة،٢٠٠٥.
صلاح،محمد، وقائع سنوات الجهاد، رحلة الأفغان العرب، خلود للنشر، د.ت.،٢٠٠٢.
- كسنجر، هنري، الدبلوماسية من الحرب الباردة وحتى يومنا هذا، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ،١٩٩٥.
- الموصللي، احمد، جدليات الشورى والديمقراطية: الديمقراطية وحقوق الإنسان في الفكر الإسلامي، مركزدراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
- الموصللي، أحمد، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤.
- مجموعة باحثين، الحركات الإسلامية في مواجهة التسوية، مركزالدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق،بيروت، ١٩٩٥.
- مجموعة باحثين، الحركات الإسلامية والديمقراطية في الفكر والممارسة، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، ط ٢،بيروت، ٢٠٠١.
- مجموعة باحثين، الإسلاميون والمسألة السياسية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية، ط ٢،بيروت، ٢٠٠٤.
- محاور وحوار، القوى العالمية في بيئة متحولة ، نحو استقطاب دولي جديد، المركزالاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد ١١ نيسان ٢٠١٥.

- هاليداي، فريد ، ساعتان هزتا العالم ، ١١ أيلول/سبتمبر الأسباب والنتائج، ترجمة عبد الله النعيمي ، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.

كتب باللغة الإنكليزية:

- **- Allam, Shauki The Idiological Battle Field,national Library And Archive Press, Cairo,2014,**
- **Beverly- Milton, Edward, Islam Politics In The Contemporary World, Polity Press,1st p,2004.**
- **Cockburn,Patric The Rise Of Islamic State ISIS And The New Sunni Revolution Verso London- New York,Patrick Cockburn2014-2015.**
- **Esposito,John Unholy War Terror In The Name Of Islam,Oxford University Press,2002,NewYork.**
- **Daalder,Ivo H. Beyond Preemption. Force And Legitimacy In a Changing World, The Bookings Institution, Washington, 2007.**
- **Message To The world- The Statemant Of Osama Bin Ldin -, Verso,UK, USA,2005.**
- 1 **- Michael weiss,Hassan Hassan ,Inside Thr Army Of Terror(ISIS),RganArts,New York2015.**

- **Rougier,Bernard The Sunni Tragedy In The Middle East Norprinceton,University Press Princeton And Oxford 2015.**
- **Tibi ,Bassim The Challenge Of Fundemantalizm: Political Islam And New World Disorder , University Of California Press , London ,2002. -- - weiss,Michael,Hassan, Hassan ,Inside Thr Army Of Terror(ISIS),RganArts,New York2015.**

قواميس ومعاجم :

المنجد في اللغة العربية والأعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٩٨.

أطروحات ورسائل:

العالم الإسلامي ومتغيرات العلاقات الدولية بعدة أحداث ١١ أتيلول العام ٢٠٠١، أطروحة دكتوراة ، إشراف د. عدنان السيد حسين، إعداد علي شكر، الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٥.

دوريات:

مجلة معلومات(السلفية غير الجهادية) ، المركزالعربي للمعلومات، العدد ١٠٢، أيار ، بيروت، ٢٠١٢.

مجلة الغدير، (التكفير تداعياته وسبل مواجهته)، مركز الدراسات والتوثيق، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، بيروت، العدد٦٨، خريف ٢٠١٥.

مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام ، القاهرة ،العدد ١٩٩، أيار ٢٠١٦.

مجلة معلومات، المركز العربي للمعلومات، بيروت، العدد ١٢٩،

مجلة "النور"، العدد ١٢٦، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١.

مجلة معلومات،(الحرب على القاعدة)،المركز العربي للمعلومات، العدد١٠١، أنيسان، ٢٠١٢.

صحف يومية :

صحيفة "الحياة"، ٢٣-٦-٢٠١٤

صحيفة، الشرق الاوسط، ٤-١٢-٢٠٠١.

العربي بن ثاير، "الأوان"، ٢-١٠-٢٠١٣

صحيفة "الشرق الأوسط"، عدد ٨٤٠٧- في ١٤٢٢/٩/١٩هـ

صحيفة "النهار"، ١٧-٦-٢٠١١

صحيفة "السفير "،١٧-٩-٢٠٠٩

صحيفة "الرأي العام"، ١٩-١١-٢٠٠٢

صحيفة "الشرق الأوسط"، ٦-٥-٢٠٠٦

صحيفة "الحياة"، ٣-٥-٢٠١١

عبد الله سليمان علي، "السفير"، ٢-٧-٢٠١٤

صحيفة "الحياة"، ٩-٩-٢٠٠٢

صحيفة "الديار"، ٧-١-١٩٩٧

صحيفة "السفير"، ١٤-١١-٢٠٠١

صحيفة"الخليج"، ٢٤-١١-٢٠٠٨

صحيفة "الرأي العام"، ١٩-١١-٢٠٠٢.
صحيفة "الحياة"، ١١-١-٢٠٠٢
-صحيفة "المستقبل"، ١٥-٣-٢٠٠١
صحيفة، "الحياة"، ٥-٤-٢٠٠٢

صحيفة "الحياة"، ١٦-٩-٢٠١٤

صحيفة "الديار"، ١٢-١٢-٢٠١٤

صحيفة"السفير"، ١٥-١٢-٢٠١٥

صحيفة"النهار" ١٤ –٨–٢٠١٤

صحيفة" السفير"، ٧–٧–٢٠١٤

صحيفة "السفير"، ٢-٧-٢٠١٤

صحيفة"السفير" ٢٠١٤/٦/٣٠.

صحيفة، السفير ٢٩-٦-٢٠١٥.

صحيفة" السفير٢٤"/٦/٢٠١٤

صحيفة"النهار" ٣٠–٨– ٢٠١٤

صحيفة"الحياة" ٢٠١٤/٧/١

صحيفة"الحياة" ٢٠١٤/٨/٦

صحيفة"الحياة" ٣٠ ١٢–٢٠١٥

صحيفة"الصباح"، تونس،٢٠١٤/٣/١

صحيفة"السفير" ٢٠١٤/٦/٢٤

.

صحيفة، السفير١٤–١٠–٢٠١٤

صحيفة،النهار ٢-٤-٢٠١٥.

صحيفة، الاخبار ١١ -١٢-٢٠١٥.

صحيفة، الحياة ١٧-١٢-٢٠١٥

العربي الجديد، ٢٨-٧-٢٠١٥

العربي الجديد، ١٥-٤-٢٠١٥

مجلة الصياد، ٢-١١-٢٠١٥.

صحيفة،الحياة ٧-١-٢٠١٥.

صحيفة، الوطن ٢٠١٤/١٠/١

صحيفة،النهار ٢٠١٤/١٠/٨

العربي الجديد، ٢٤ -١٠- ٢٠١٥

صحيفة، الديار ٩-٥-٢٠١٥
صحيفة الشرق الأوسط ١٤-١٠-٢٠١٤
صحيفة، السفير ٢٠١٤/٧/٣

صحيفة، الاخبار ١١ -١٢-٢٠١٥

صحيفة، السفير ١و٢-٧-٢٠١٤

مواقع الكترونية:

- world/iraq/2014/09/07/

- http://www.alarabiya.net/ar/arab-and

- http://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/2015/12/15
- http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/12/15/islamic-coalition-isis-saudi-arabia
- http://www.shaam.org٢٠١٥-١-١٥

- أحمد الحبيشي، عن موقع "المؤتمر نت"، ٢٠١٣ /٨/٢٣